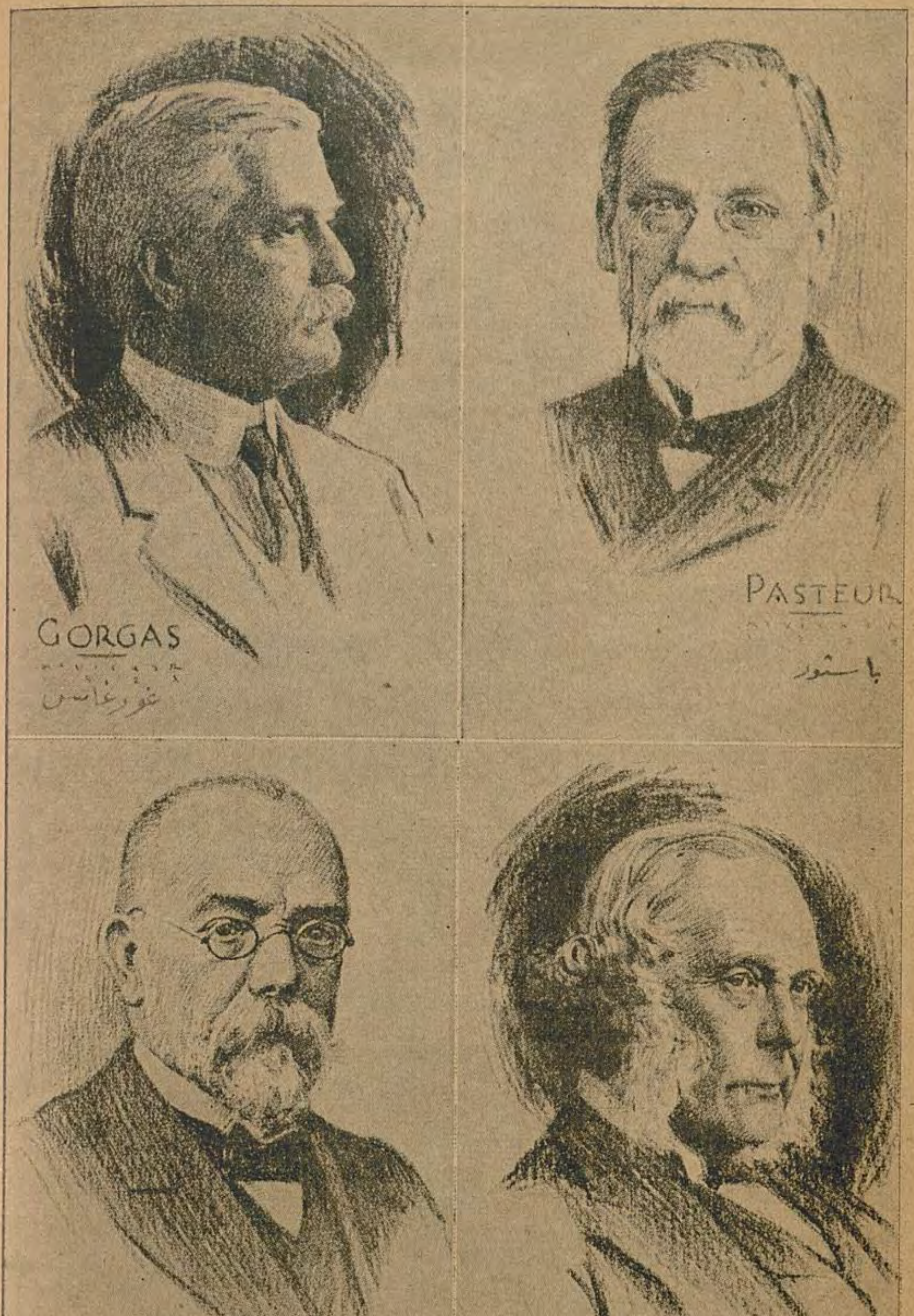


اربعة من اركان الطب الحديث

مقتطف يونيو ١٩٢٨ – انظر صفحة ٦٢٥

# المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والسبعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٦


## كلمات للدكتور صروف

### فضائل الحرب والسلم

الفضائل التي يدعي اهل الحرب ان الحرب توجدها او تمكنها في النفوس كالشجاعة الوحشية والجرأة والاقدام وتحمل المتاعب والمصاعب والصبر على المكاره وعدم المبالاة بالخسارة مهما كبرت وعظمت — كل هذه وغيرها ليست اعظم من الفضائل التي يوجدها السلم . فالشجاعة الادبية لا تقل منزلة عن الشجاعة الوحشية والاقدام على الاعمال الكبيرة اوقع في النفس من الاقدام على خوض ميادين القتال لان الانسان يكون مدفوعاً في الاول بعامل التعقل والتبصر وفي الثاني بسورة النزق والطيش. وليس احد يقول ان الجنون خير من العقل . ورواد الحضارة الذين يجتابون البلدان المظلمة لنشر لواء الحضارة ويعانون المشاق والاهوال في سبيل ذلك خير من الجنود الذين ينفقون اعمارهم في خوض ساحات الحرب وميادين القتال. والعالِم الذي يحاول حل سر من اسرار الطبيعة او اكتشاف دواء لداء قتال قاضياً ليلهُ ونهارهُ في البحث والتنقيب والتجربة والاختبار صابراً على فشل امانيهِ مرة وخيبة مساعيهِ اخرى لأرفع مقاماً وأعلى منزلة في عيون الناس من اي قائد كان . فذانك الاسكندر وارسطو ونابليون الاول وباستور ووجه التفاضل بينهم لا يخفى على احد

# اعظم الجسور المعلقة

## صورة غلاف المقتطف

كان الاقدمون يفاخرون بمبانيهم العظيمة كالهرم الكبير ومنارة الاسكندرية وصنم رودس . ترى ماذا يقولون اذا زاروا مدينة نيويورك وشاهدوا ناطحات سحابها وجسورها (كباريها) المعلقة ففي بناء برج واحد من برجي جسر الهدصن الجديد ما يفوق هذه العجائب الثلاث معاً

ان بناء المباني الشاهقة المعروفة بناطحات السحاب فن اميركي وضع الاميركيون اصولهُ وقواعدهُ العملية واوصلوهُ الى مرتبة عليا من الاتقان والكمال . دعت اليهِ الضرورة — ازدحام السكان — فلبت دعوتها عقول مبتكرة تدربت على العمل بالعلم واغنياء ذوو نظر بعيد لا يضنون بالمال ينفق في تجربة الجديد لانهُ مخالف للقديم المألوف . وهم ينظرون الى هذه المباني الشامخة نظرة الاعجاب الشديد لانها تمثل اقرب الامور الى نفوسهم وادعاها الى فخرهم — نعني المبادئ التي تقوم عليها حضارتهم العملية

وما يقال عن ناطحات السحاب في نيويورك يقال عن جسورها المعلقة . فقد جمعت بين الضخامة والاناقة والفائدة العملية جمعاً يجعلها فوزاً باهراً للعلم وآية من آيات الفن

واشهر هذه الجسور على الاطلاق هو جسر بروكلن المعلق لانهُ اقدمها واول جسرٍ معلق كبير في التاريخ شرع في بنائهِ سنة ١٨٧٠ وفتح للمواصلات سنة ١٨٨٣ بعد ما انفق على بنائهِ ثلاثة ملايين من الجنيهات ثم رمّم واصلح فانفق عليهِ مليون وربع مليون من الجنيهات . ولما فتح للمواصلات دعي « الكبري العظيم » وحسب من عجائب الدنيا لان المسافة بين برجيهِ ١٥٩٥ قدماً وطولهُ ٦٠١٦ قدماً وعلو كل من برجيهِ ٢٧٨ قدماً وارتفاعهُ عند وسطهِ عن سطح الماء ١٣٥ قدماً وعرضهُ ٨٥ قدماً

ولكن الاميركيين لم يكتفوا بهذا الفوز العظيم في هندسة الجسور . فبنوا جسوراً اطول من جسر بروكلن واضخم، منها جسر وليمز برج الذي يبلغ طولهُ ٧٢٠٠ قدم وعرضهُ ١١٨ قدماً وعلو كل من برجيهِ ٣٣٥ قدماً والمسافة بينهما ١٦٠٠قدم وارتفاعهُ عند وسطهِ عن سطح الماء ١٣٥ قدماً وعليهِ متسع لاربعة خطوط ترامواي وطريقين للسيارات وطريقين للمارّة . وبلغت نفقاتهُ اربعة ملايين وستمائة الف جنيه

وقلما يستعمل جسر بروكلن الآن لانهُ ليس من المتانة بحيث تكون حياة الذين

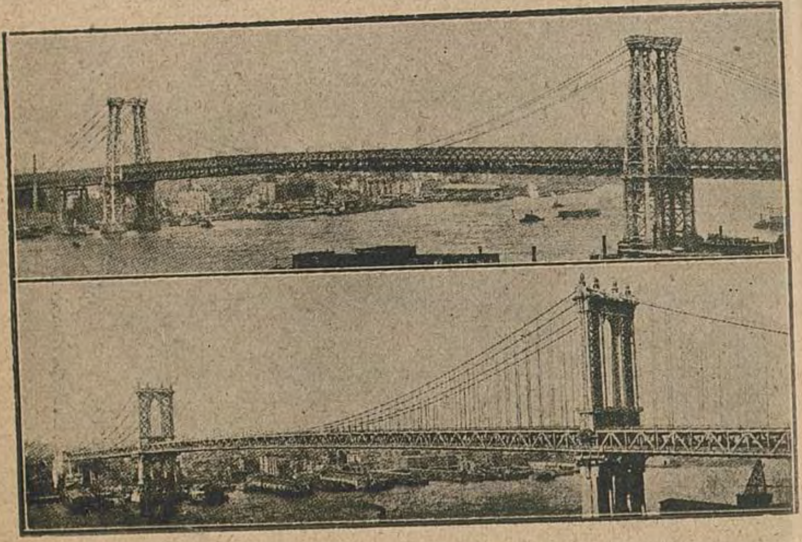

ثلاثة من اعظم جسور نيويورك المعلقة

الاعلى : جسر بركان . المتوسط جسر وليمزبرج : الاسفل جسر منهتان

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦١٠

يسيرون عليهِ في مأمن من الخطر . ونظن ان الاميركيين لم يبقوهُ الاَّ مفاخرة بهِ . ولعلّهم يفككونهُ بعد ما يحتفلون بعيدهِ الذهبي ويبنون آخر مكانهُ

على ان النوابغ من رجال الاعمال لا يقفون عند حدٍّ من الاتقان والكمال ويحسبون كل فوز يحرزونهُ في عمل من الاعمال مرتبة يرقون عليها الى ما فوقها. لذلك نرى الاميركيين الآن منهمكين ببناءِ جسر معلق جديد فوق نهر الهدسن — وهو النهر الذي تعذر بناءُ الكباري فوقهُ قبلاً لاتساعهِ — وقد نشرنا صورتهُ بالالوان على غلاف المقتطف هذا الشهر . ومتى تمَّ حسب من عجائب الدنيا كما يستدل القارئ من الحقائق التالية :

ينتظر ان يتمَّ بناءُ هذا الجسر سنة ١٩٣٢ فيكون فيهِ ثمانية طرق للسيارات والتراموايات في دورين وطريقان للمارَّة . والمسافة بين برجيهِ ٣٥٠٠ قدم وهي ضعفا المسافة بين برجي جسر نهر الدلاوار اطول الجسور المعلقة التي بنيت حتى الآن. وعلو كل من هذين البرجين ٦٥٠ قدماً فلا يفوقهما في ارتفاعهما سوى برج ايفل وبناية ولورث وثلاث بنايات او اربع من ناطحات السحاب وهما مبنيان بالصلب والسمنت المسلح والغرانيت وفي كل منهما من الصلب ما زنتهُ عشرون الف طن فيكفي لبناء بنايتين متوسطتين من ناطحات السحاب

اما الاسلاك التي تمتد من الطرف الواحد الى الطرف الآخر مارة فوق البرجين وعليها المعوَّل في بناء الجسر لانهُ معلق بها فاربعة حبال ضخمة من السلك الفولاذي المتين كل حبل منها قطرهُ ٣٦ بوصة او نحو ثلاث اذرع وطولهُ نحو خمسة آلاف قدم ووزنهُ نحو ٧ آلاف طن . ولكي يكون الحبل على اعظم جانب من المتانة جُعل مؤلفاً من ٢٦٤٨٤ سلكاً دقيقاً ثخانة كل سلك منها $\frac{٣}{٢٦}$ من البوصة او ثخانة قلم رصاص عادي. وعلى جانب كلٍّ من البرجين تقام طابية ضخمة تربط بها هذه الحبال ربطاً محكماً. فالطابية التي اقيمت من جانب برج نيويورك بنيت بالصلب ومساحتها فدان مربع. والطابية التي من جانب برج نيوجرزي بنيت من الصلب ايضاً في اقبية منحوتة في الصخر الاصمّ وتبلغ نفقاته كلها متى تمَّ بناؤهُ نحو ستة ملايين من الجنيهات

حقًّا ان مباني كل شعب تمثل ما في نفوس ابنائهِ من نزعات وغايات. ولا ريب ان «نواطح السحاب» و« الجسور المعلقة » دليلٌ بليغ على ان الاميركيين آخذون بقول فيلسوفهم « امرسن» حيث يقول—« أنط مركبتك بالنجم» او على قول المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

# أحروب طاحنة ام تحديد للنسل؟

## هل زيادة السكان تؤيد حق امة في طلب التوسع

### موقف العلم والحضارة بين الرأيين

اذا زاد عدد السكان في بلد من البلدان زاد عمرانهُ ولكن الى حدٍّ ما . لان كثرة الناس في البلاد تؤدي الى اتساع نطاق العمل والعناية باستنباط ثروة الارض ورفع مستوى المعيشة . لذلك تعنى الحكومات التي تحكم بلداناً مترامية الاطراف قليلة السكان بدعوة الناس الى الهجرة اليها وترغيبهم في ذلك . ولكن لا يلبث ازدحام السكان ان يبلغ حدًّا تصبح الزيادة بعدهُ خطراً على البلاد . لانها تخفض مستوى المعيشة بدلاً من ان ترفعهُ . ويكثر طلاّب العمل حتى يزيدوا على ما تتسع لهُ المعامل والمتاجر . فترتع بينهم مبادىء الشيوعيين والفوضويين ويكون المرتع خصباً

وقد يتعذر تعيين هذا الحدِّ الفاصل بين الحالين . لانهُ يختلف باختلاف البلدان وما بلغتهُ من الرقي الصناعي والتجاري والزراعي . فبلاد في عرف الكنديين تحسب غاصة بالسكان يحسبها الصينيون قليلتهم لان هؤلاء تعودوا ان يروا ٤٠٠ نفس او اكثر مزدحمين في بقعة من الارض مساحتها ميل مربع او اقل

ورغماً عن ذلك اجمع علماء الاجتماع والاقتصاد على وجود هذا الحدّ في احوال معينة فيبلغ عدد السكان عندهُ مبلغاً يمكنهم من التمتع بارقى وسائل العمران واعلى مستوىً اقتصادي في معايشهم . وهذا العدد يتغير في كل بلاد بتقدم الحضارة فيها . فلو ان سكان الولايات المتحدة الاميركية كانوا منذ مائة سنة ١١٧ مليوناً — كما هم الآن — لما كان ملاك الثروة والرخاء مرفرفاً فوقهم كما هو مرفرف الآن. وبلجيكا التي تكاد تغص بسكانها اكثر رخاءً من بلاد فارس . مع ان ٦٥٩ نفساً من سكان الاولى يقطنون في ما مساحتهُ ميل مربع واحد من الارض يقابلهم ١٦ في الثانية

فاذا كانت البلدان المزدحمة بالسكان غير منتظمة انتظاماً اقتصاديًّا دقيقاً وعرضة في كل آن لانقلابات سياسية خطيرة لم يشعر الشعب شعوراً عامًّا بازدحامهِ ووجوب توسعهِ . لانهُ لايجد متسعاً كافياً من الوقت للانصراف الى العمل والوقوف على ان نطاق العمل في بلادهِ لا يتسع لجميع افراد الامة لكثرتهم . فاذا انتظمت هذه البلدان

وامتدَّ فوق ربوعها رواق السلام والطمأنينة ادرك افراد الشعب ان الارض لا تتسع لهم ليجنوا من عملهم فيها ما يؤهلهم لمكانة بين الشعوب كمكانة جاراتهم فينظروا نظرة الطمع الى البلدان التي يمكن ان تكون منفذاً لهم

ايطاليا واليابان

والمملكة الايطالية اشهر مثَلٍ على هذه الحالة الاخيرة في اوربا . ففي ايطاليا شعب عدده ٤٢ مليوناً يقطنون بلاداً مساحتها ١٧٨ الف ميل مربع اي بمتوسط ٣٢٧ نفساً لكل ميل مربع . فازدحام السكان في ايطاليا يبلغ نحو نصف ازدحامهِ في بلاد البلجيك . ولكن انتظام ايطاليا الاقتصادي وارتقاءها من هذه الناحية لا يقاسان بانتظام بلجيكا وارتقائها. وسكان ايطاليا يزيدون ٤٠٠ الف نفس كل سنة. فعلى مرافق ايطاليا الصناعية ونظامها الاقتصادي ان يرتقيا ارتقاءً سريعاً اذا شاءت الحكومة الايطالية ان تحفظ مستوى المعيشة في بلادها على ما هو الآن وان تجد عملاً لابنائها الذين يزيدون كل سنة على ما تقدم . ولما كانت لا تملك في بلادها مناجم غنية بالفحم والحديد ومنابع للنفط وغيرها من موارد الثروة الطبيعية فان ارتقاءً كهذا ليس في حيز المحتمل. ومهما بلغ من سهر الحكومة الايطالية على تنظيم صناعاتها ومرافقها فلا يمكنها بحال من الاحوال ان تبلغها درجة من السعة والرقي تكفي زيادة السكان السنوية

فلما وجدت ايطاليا نفسها تكاد تنفجر من كثرة السكان طلبت ارضاً تجعلها منفذاً للملايين من ابنائها وقد قال السنيور موسوليني في ذلك «يجب على ايطاليا ان تتوسع والا انفجرت » ولعل هـذه الفكرة هي اقوى العوامل التي تكيف سياسة ايطاليا الخارجية المتصفة بالقوة والعدوان لانها تقنع الايطاليين بعدالة مطالبهم للتوسع في البلدان المجاورة لهم كالبانيا التي لا يقطن في الميل المربع منها الا ٤٨ شخصاً ويوغسلافيا التي اصبحت تخشى على بعض شواطئها المحاذية للبحر الادرياتيكي من اتساع النفوذ الايطالي. حتى فرنسا نفسها لم تسلم من وعيد «الدوتشي» باسترجاع نيس وسافوي عنوةً . وقراء الصحف يذكرون ان تركيا الكمالية اصبحت ذات يوم وهي على قدم الاستعداد للحرب لتدفع عن بلادها هجوم الجيوش الايطالية

وفي الجهة المقابلة لايطاليا ، في الشرق الاقصى، دولة فتية قوية ترى نفسها في حالة تشبه حالة ايطاليا الآن من حيث زيادة السكان وطلب التوسع — نريد بها دولة اليابان فسكان اليابان يبلغون ستين مليوناً يقطنون ارضاً مساحتها ١٤٨٧٥٦ ميلا مربعاً

اي بمتوسط ٤٠٠ نفس للميل المربع الواحد . وسكان اليابان يزيدون ٦٠٠ الف نفس كل سنة ومستوى المعيشة فيها على ما هومعروف اقل منهُ في ايطاليا . وحكومتها نفسها تتذرع بهذه الحجة لطلب التوسع وللاعتراض على مساعي الاميركيين والاستراليين والكنديين لمنع اليابانيين الاستيطان في بلادهم

يقول اليابانيون : ان في هذه البلدان —اميركا واستراليا وكندا — ملايين من الفدادين يمكن ان يقطنها ملايين من الناس ويعيشوا فيها عيشة ثراء ورخاء ولكن البيض لا يستعملونها ويمنعوننا من الدخول اليها . فاليابان وايطاليا متفقتان على ان كل بلاد يزداد عدد سكانها حتى لا تسعهم يحق لها ان تطلب التوسع والاستعمار لتمهد لهم بلاداً يهاجرون اليها. فايطاليا تحاول ان تقنع بعض الدول الاوربية ان يتنازلوا لها عن بعض مستعمراتهم الافريقية وفي الوقت نفسهِ شرعت تبسط نفوذها السياسي والاقتصادي على البلدان المجاورة لها . واليابان تتوسع في اقامة الدليل على صحة نظرها وتجعل من البرهان محوراً للخلاف بين الشعوب البيضاء والشعوب الملونة ( اي الصفراء وغيرها ) وتقول ان الشعوب الملونة مهددة بمجاعة عظيمة اذا لم يهاجر ابناؤها الى بلدان يستطيعون ان يطلبوا الرزق فيها

نتيجة التوسع المبني على كثرة المواليد

ويُرَدُّ على قول اليابان بان اكثر البلدان المرغوب فيها للتوسع والاستعمار هي في حيازة احدى الدول الآن وان لابناء هذه الدول في هذهالبلدان حقوقاً ومصالح لابدَّ من المدافعة عنها ولو لم تكن مزدحمة بالسكان ازدحام اليابان او الصين او ايطاليا.فمطالبة هذه الدول بان تخلي بعض هذه البلدان بعدما انفقت فيها بدرات من الاموالوبعد ما هاجر اليها الوف من ابناءِ الامم التي استعمرتها امر خارج عن نطاق السياسة العملية

اضف الى ذلك ان ابناء البلدان غير المزدحمة بالسكان لا يقرّون بعدل المذهب القائل ان البلدان الغاصة بالسكان يحق لها طلب التوسع لمجرد انها مزدحمة لان هـذا المذهب عرضة للنقد الشديد وقد تنتج عن تطبيقهِ نتائج اقتصادية وسياسية خطيرة . ذلك انهُ اذاكان يحق لليابان ان تبغي التوسع متى زاد عدد سكانها حتى ضاقت بلادها بهم فلها الحق اذاً ان تطلب التوسع في بلدان اخرى متى ازدحم ابناؤها في البلدان التي تستولي عليها . فاذا استمرَّ الامر كذلك من غير رادع اصطدمت اليابان يوماً ما بامة اكثر عدداً واوفر ولْداً منها. ولنفرض انها توسعت في بلدان اسيا الشمالية فلا بدَّ

ان يأتي يوم تصطدم فيهِ بالصينيين او الهنود وهم كما تعلم اوفر الشعوب ولداً . فعليها حينئذٍ ان تزيد متوسط المواليد السنوي في شعبها حتى تتفوق عليهم او ان تتراجع تاركة الارض للشعب الذي يفوقها في كثرة العدد ووفرة الولد

هذا هو القياس النهائي لصحة هذا المذهب. انهُ يعني ان حق شعب من الشعوب في الحياة والتقدم مرهون بعدد مواليدهِ . اما مآثرهُ في العلم وأما آياتهُ في الفن واما تعاليمهُ الدينية والفلسفية فلا عبرة بها ولا قيمة لها ! فاذا تمَّ لهذا الشعب ما تمنى وجرَّد نساءهُ عن كل معنى روحي نبيل وجعلهنَّ وسائل للتوليد لا غير وملأ الارض بابنائهِ — ماذا يفعل حينئذٍ ؟ أيحدّد عدد مواليدهِ فيتجرَّد بذلك عن الصفة الواحدة التي بنى عليها حقهُ في الحيـاة ؟

لكن بعض علماء الاقتصاد وعلى رأسهم مالتوس واتباعهُ يقولون ان الامراض والمجاعات والحروب تقف حدوداً دون تحقيق هذا المذهب على الوجه الذي ذكرنا . فان كل عمل تعملهُ الامم التي تؤمن بهذا الرأي لتحقيق رأيها لا بدَّ ان يلقى مقاومة شديدة اي لا بدَّ ان تقف الحرب في وجههِ سدًّا منيعاً فاذا فازت في المعترك وتمكنت من التوسع على ما تريد وسار ابناؤها في جميع الاقطار لكثرتهم لا يلبثون ان ينازع بعضهم بعضاً في طلب القوت . فالسعي لتحقيق هذا الرأي يهدّد العمران الشرقي والغربي باخطار جسيمة ولا بدَّ من البحث عن سياسة اخرى تشمل جميع الامم . اذ لا يستتب السلام بينها حتى تجري كل حكومة على مبدإٍ تحديد النسل فلا يزيد عدد المواليد عما تستطيع الارض ان تحضنهُ منها

هل المسألة جنسية ؟

فيقول اليابانيون : بعد ما سيطر الجنس الابيض على اميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وافريقية اخذوا يقولون : لتحتفظ كل امة بما تملكهُ الآن . ونحن لا نرى وجهاً للعدل في ذلك . فالشعوب والاجناس متساوية كلها والاجناس الصفراء يحق لها ان تملك من الارض ما يتناسب مع عدد سكانها بالنسبة الى الامم البيضاء

فيجيبهم انصار المذهب المعارض : هذه هي حجتكم الاولى . فكانكم تقولون ان كل شعب يحق لهُ ان يسيطر على مساحة من سطح الكرة تتناسب مع عدد مواليدهِ . فاذا كان اتفاق من الاتفاقات الدولية يحتوي على شيء من عدم الانصاف فعدم الانصاف هذا يزيد اذا حاولنا اصلاح هذا الاتفاق بواسطة الحرب . فوجوه الظلم وعدم الانصاف

يمكن اصلاحها وازالتها رويداً رويداً ولكن طلب التوسع والحرب يخلقان دائماً اسباباً جديدة للشكوى والتظلم

هذا اذا سلمنا ان هناك وجهاً للشكوى. ولكن هل هناك وجه للشكوى والتظلم — لاحق بالامم الصفراء ؟ اذا ازلنا ما تشكو منهُ الصين من سيطرة الامم الاوربية واليابان عليها — وهذا زائل يوماً ما — فمَ تشكو الامم الصفراء ؟ اتشكو من سيطرة الشعب الابيض على اميركا الشمالية واميركا الجنوبية وافريقية واستراليا ؟ فلقد كان للصين والهند حضارة زاهية زاهرة منذ ثلاثة آلاف سنة وكان لليابان عمران قديم يعود الى الفين وخمسمائة سنة . اما الحضارة الاوربية الحديثة فلم ينقض عليها اكثر من الف سنة .في القرون التي كانت فيها اوربا تتسكع في ظلام الهمجية والجهل والفوضى هل سعى ابناء الجنس الاصفر للسيطرة على هاتهِ القارات ورفع لواء الحضارة — حضارتهِ — فوق ربوعها؟ ولولا الشعب الابيض من يدري اي زمن كان انقضى قبلما تمكن الهنود والصينيون واليابانيون من الاتصال بهذه البلدان ؟ واذا اصبح العالم غداً وقد نسي كل ما استبطهُ واكتشفهُ الجنس الابيض عن بناء السفن وتسييرها فكم يمضي من الوقت على اهل اليابان والصين والهند قبلما يتمكنون من الاتصال بهذه القارات واستعمالها كمنفذٍ لشعوبهم المزدحمة

زيادة السكان ومصير الحضارة

فالشعب الابيض الذي نشأ في اواسط آسيا واستوطن غرب اوربا صرف همهُ للسيطرة على عناصر الطبيعة واخضاعها لمطالبهِ . ففاز بشيء من ذلك واخذ يبني عليهِ حضارتهُ.ولم يلبث ان صحت لديهِ حقيقة اساسية: ذلك ان حضارة لا تفسح مجال التقدم لكل فرد من افراد المجتمع لهي حضارة غير ثابتة الاساس مقضي عليها بالخذلان. وان هذا المجال لا يتسع ما زال شبح الجوع والمرض والموت محوماً فوق البيوت .فالاساس الاول الذي تقوم عليهِ الحضارة الغربية هو استقلال الفرد وحسن حالتهِ الاقتصادية

ولكي يحقق هذه الامنية اخضع ابناؤه قوى الطبيعة لمطالبهم فتمكنوا من جوب البحار والاتصال بقارات مجهولة واستنباط ما فيها من الثروة المطمورة ولاول مرة في التاريخ تمكن جانب من النوع البشري من رفع مستوى معيشتهِ الى درجة مكنتهُ من طلب غايات الحياة العليا . فلما وصل الى هذه الدرجة من الرقي وجد نفسهُ مثاراً لغيرة غيرهِ من الشعوب الذين كانوا قد صرفوا هممهم الى امور اخرى. وجاءت هذه الشعوب تطالبهُ بحقها في الاستمتاع بثمرة جهودهِ . مع ان الزمن الذي قضاهُ الاوربيون في ردم

المستنقعات وريّ الصحارى واستثمار خيرات الارض والسيطرة على قوى الهواء والماء نضتهُ الشعوب الاخرى صارفة همها الى زيادة مواليدها. فكانت النتيجة ان حالة الفرد الاقتصادية في الحضارة الاوروبية ما زالت في ارتفاع لقلة السكان وزيادة المنتج وحالة الفرد الاقتصادية في الحضارات الاخرى ما زالت في انخفاض وانحطاط لزيادة السكان وقلة المنتج من خيرات الطبيعة والارض. ومع ذلك فهذه الشعوب تقول نطلب المساواة ويجب ان نقتسم الارض التي كشفتموها

والردّ على ذلك قائم على ان خير الحضارة لا يقضي باملاء الارض القليلة السكان بالملايين الذين لا يجدون متسعاً لهم في بلادهم. بل يقضي بتحديد النسل في هذه البلدان الى درجة يتمكن عندها العلم والحضارة من جعل كل فرد من افراد هذه الشعوب يتمتع باعلى مستوى اقتصادي لا مندوحة عنهُ كركن من اركان الحضارة العالمية المقبلة

ولا يعني هذا الحلّ ان اليابان يجب ان تواجه مجاعة عامة في بلادها اذا لم تتمكن من التوسع . فها هوذا شعبها يزداد كل سنة بمتوسط ١٤ في الالف من غير ان يواجه مجاعة في بلاده المزدحمة بالسكان .فاذا زاد عدد المواليد عن هذه النسبة ازداد ازدحام السكان واشتدت مزاحمتهم على موارد الرزق وحينئذٍ تواجه اليابان خطر مجاعة عامة . فالامر الذي يجب ان يعالج في اليابان هو هذا المتوسط — متوسط المواليد — العالي والاَّ اصابتها المجاعة كما هو حادث في الصين الآن لكثرة الناس وقلة الرزق

وفي هذه الحال لا يمكن ان يكون التوسع والاستعمار علاجاً للحال. فعلماء الاجتماع مجمعون على ان الهجرة لا تخفف الازدحام الناشىء عن كثرة المواليد. لان مهاجرة جماهير غفيرة من بلد الى آخر لا تبدأ قبلما يكثر السكان في البلد الاول كثرة تجعل طلب الرزق صعباً .حينئذٍ فهجرة جمهورٍ كبير لا تخفف الضغط لان الشعب يملأُ الفراغ الذي خلّفتهُ ويستمر على ذلك حتى يصيبهُ وباءٌ او تفشو فيهِ مجاعة او يباد ابناؤهُ في حرب

فالتوسع اذاً لا يرفع مستوى المعيشة في البلد الذي يُهجَر ولا هو سبب سياسي مقبول للاستيلاءِ على بلدان تخص شعوباً اخرى . واذا كان مستوى المعيشة في البلد المهاجَر اليهِ عالياً خفضوهُ بكثرتهم وعدم مماشاتهم لمقدرة العلم على الانتاج . وعليهِ يجب على حكومات الارض ان تصرف النظر عن توزيع البلدان حسب عدد السكان وان تهتم بحصر عدد كل شعب على ما يمكن ان تتسع لهُ بلادهُ اتساعاً يمكنهُ من ان يعيش فيهِ في رخاء ورفاهة . اه عن مجلة « العالم اليوم » بتصرف

# مآثر الشرق في الرياضيات والفلك

موضوع خطبة نفيسة للاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الاميركية القاها في حفلة الافتتاح لجمعية تعاون الفكر الدولية ببيروت قال فيها بعد المقدمة :

ذكرت قبلاً ان اسلافنا امتازوا بالامور التجارية . ولذلك نرى انهم اول من وضع اصول الحساب التجاري[١] بما فيهِ من انواع السندات والتحاويل المالية والشكات والوصولات وحساب الفائدة وغيرها من الحسابات التجارية ونظام القياسات والاوزان ومسح الاراضي بطرق هندسية تقريبية واستنباط نوع من الارقام للاعداد ونظام العدّ المعروف بالنظام الستّيني الذي يتوقف على العدد الستين[٢] . والذي لا تزال آثاره جارية في بعض نظاماتنا مثل تقسيم الساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية ونظام قياس الدائرة التي قسموها الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية ووضع الاعداد الصحيحة وبعض الكسور البسيطة وهذا كلهُ ظاهر ومدوَّن في الآجرّ الذي اكتشف حديثاً في ما بين النهرين وتاريخهُ يرجع الى ٣٠٠٠ سنة ق.م. وما قولكم في بناية المدرسة التي اكتشفتها البعثة الافرنسية في تلك الانحاء ايضاً سنة ١٨٩٤ والتي يرجع تاريخها الى نحو ٣٠٠٠ سنة ق . م[٣] ؟؟؟

ونستنتج من الآجرّ المذكور انهم عرفوا في ذلك الوقت مربع الاعداد من ١ — ٦٠ ومكعباتها والجذر المالي[٤] بدليل وجود جداولها وجداول الضرب والقسمة . وعرفوا ايضاً شيئاً عن النسبة والتناسب والسلسلة المتصلة الهندسية وترقية الكمية الثنائية الى القوة الثانية . هذا في الحساب والجبر . اما في الهندسة فقد اقتصرت معارفهم على معرفة مساحة بعض الاشكال الهندسية كالمربع والمستطيل والمثلث والدائرة[٥] وفوق

(١) دافيد سمث : تاريخ الرياضيات وجه ٣٧ و٣٨
(٢) » » » » » ٤١
(٣) » » » » » ٣٨
(٤) » » » » » ٤٠
(٥) » » » » » ٤٠

هذا يجوز لنا ان نستنتج ان معارفهم الهندسية كانت سامية بدليل وجود نظام الريّ العجيب الذي يتطلب مهارة عظيمة ومعارف هندسية وميكانيكية لا يستخف بها كما صرّح السر وليم ولكوكس

وفي علم الفلك تمكنوا من معرفة وقت الاعتدال الربيعي وتعيينه فجعلوهُ بداءة السنة. ودعوا الشهر الاول باسم الثور وهذا يدلنا على انهم وضعوا التقويم المذكور حينما كان يقع الاعتدال الربيعي والشمس في برج الثور. اي منذ نحو ٥٠٠٠ سنة ق . م[١]. وقسموا دائرة البروج الى اثني عشر برجاً ودرسوا حركات السيارات فوضعوا اصول علم الفلك ووسّعوا نطاقهُ ووضعوا التقويم للتاريخ واصلحوهُ من وقت الى آخر بجعل بعض السنين كبيسة واستنبطوا المزولة او الساعة الشمسية لمعرفة الوقت وحدّدوا فصول السنة وقسموا النجوم الى مجاميع وكوكبات وعرفوا اوضاعها واوقات طلوعها وغروبها فدرسوها للاستدلال بها في فن الملاحة وعلم سلك البحار

ونحن نعلم جيداً ان المصريين وضعوا تقويماً سنة ٤٢٤١ [٢] ق . م . جعلوا فيهِ السنة اثنى عشر شهراً وكل شهر ثلاثين يوماً واضافوا الخمسة الايام الباقية وجعلوها اعياداً رسمية وهذا يدل على تقدم نظام العدّ وضبط الحساب ودقة الارصاد والرسوخ في المعارف . ناهيك بتقدمهم في هندسة البناء والمعارف الميكانيكية وعلم المساحة العملي اذ تمكنوا من مدّ الخطوط المستقيمة الى مسافات شاسعة وتعيين السطوح المستوية تعييناً دقيقاً لمعرفة فرق الارتفاع والانحدار ويظهر لنا ذلك باجلى بيان اذا عرفنا ان معظم الخطإِ في تعيين جوانب الهرم الكبير نحو سنتيمتر ونصف السنتيمتر . والخطأ في تعيين الزوايا وتحديدها نحو اثنتي عشرة ثانية من قوس الدائرة او ١/٢٧٠٠٠ من الزاوية القائمة [٣]

ثم حدث ماحدث في الشرق . وانتقلت العلوم الى اليونان الذين وضعوها على اصول علمية راسخة . ونظريات منطقية وقام بينهم رجال اعلام عظام وفلاسفة كبار ندر ان قام مثلهم في العالم قديماً او حديثاً مثل افلاطون وارسطوطاليس وارخميدس

(١) دافيد سمث تاريخ الرياضيات وجه ٣٧
(٢) برستد : العصور القديمة وجه ٤٥ وسمث وجه ٤٢
(٣) سمث : تاريخ الرياضيات وجه ٤٣ ومقالة برستد
« نشوء التمدن » المدرجة في « المجلة العلمية » المجلد ١٠ وجه ٨٧

واقليدس الذين لم يتركوا في بعض اقسام العلوم مجالاً ما لمستزيد . ففي المنطق والهندسة بلغوا الذروة العليا (١)

## مآثر العرب والاسلام

وحينما نهض العرب نهضتهم المشهورة في صدر الاسلام ودوَّخوا القسم الاكبر من المعمورة واستتب لهم الملك والسلطان صرفوا هممهم الى العلوم والمعارف فترجموا كتب اليونان في الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية واقتبسوا كثيراً عن الهنود والاعجام. واستعانوا بمدارس انطاكية وحمص ومدارس النسطوريين(٢) والسريان . وشجع الخلفاء العباسيون الحركة العلمية والنهضة الفكرية بكل الوسائل الممكنة . ونشطوا العلماء على اختلاف مذاهبهم واجناسهم على الترجمة والتأليف. ولما كانت الترجمات الاولى غير مضبوطة اكثر الاحيان طلبوا اعادة الترجمة حتى اتت اخيراً صحيحة ومضبوطة وفي مدة جيل ترجموا كل علوم اليونان والهنود . ونقلوا الارقام الهندية واختاروا منها الانسب والانفس . وهذَّبوها وحسَّنوها ولذلك ساد الاعتقاد عند الغربيين ان العرب نقلوا العلوم نقلاً وبالجهد اضافوا شيئاً . ولكن الابحاث الحديثة وخصوصاً ابحاث المستشرقين تُفيد ان العرب استنبطوا اموراً جديدة لم يكن يعترف لهم بها قبلاً . اما لانها كانت مجهولة او مطموسة او لانها كانت منسوبة الى الذين خلفوهم(٣) .وسوف اذكر بطريقة موجزة عامة اشهر مآثر العرب في العلوم الرياضية والفلكية

ففي علم الحساب زادوا قليلاً في نظريات الاعداد وبوَّبوا الموضوعات وهذَّبوا الارقام الهندية . ويعتقد البعض انهم زادوا الصفر وبالاحرى كانوا اوَّل من استخدمهُ للغاية التي نعرفها نحن الآن . ونقلهُ عنهم الافرنج بلفظهِ العربي (cipher) والمرجح انهم وضعوا علامة الفاصلة للكسر العشري(٤)

وفي علم الجبر وضعوا اصولهُ واستخدموا العلامات والاشارات الجبرية بصور قانونية ونظامية واستنبطوا عدداً من الضوابط والقوانين التي لم تكن معروفة قبلاً (٥)

---

(١) المجلة الرياضية الانكليزية في لندن شهر تموز (يوليو) ١٩٢١ وجه ٢٩١

(٢) كاجوري : تاريخ الرياضيات سنة ١٩٢٤ وجه ١٠١

(٣) « : « « وجه ٩٩

(٤) سمث : « « « ٢٩٠

(٥) كاجوري : « « « ١٠٣

وحلَّ الخوارزمي المعادلة من الدرجة الثانية واستخرج جذريها [١] كما نفعل نحن الآن . والخوارزمي اول من اطلق لفظة « الجبر » على العلم المذكور اذ دعاهُ « علم الجبر والمقابلة » [٢] وعنهُ نقلهُ الاوربيون بلفظه العربي . وبحثوا في سلاسل الاعداد او مجموعاتها وتمكنوا من حل بعض معادلات الدرجة الثالثة جبريًّا وهندسيًّا . والمسلَّم بهِ الآن ان حلّ العرب للمعادلات الجبرية بطريقة تقاطع قطوع المخروط من اعظم الاعمال الرياضية التي قاموا بها [٣]. واكتشفوا النظرية القائلة بان مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً . وهي نفس نظرية فرما Fermat[٤] المشهورة وقد استخدموا الاساليب الجبرية لحل بعض القضايا والعمليات الهندسية . فكانت ابحاثهم سابقة لابحاث دكارت الطائر الصيت

وقد ذكرت قبلاً ان اليونان لم يتركوا شيئاً لمستزيد في الهندسة . ولذلك اقتصرت اشغال العرب فيها على وضع التمارين وحل بعض المسائل العويصة

اما في علم المثلثات والانساب فللعرب مقام رفيع جدًّا لانهم هم الذين اكتشفوا اكثر قضاياهُ وقوانينهِ كقانون تناسب الجيوب وقوانين وضوابط المثلثات الكروية غير القائمة الزاوية [٥] وهم اول من اكتشف القانون العام الاولي لحل ذلك النوع من المثلثات . واوَّل من عرف القاطع ونظيره . واول من وضع جداول لنظير المماسّ والقاطع ونظيره . واول من عرف اصول الرسم على سطح الكرة [٦]

وابحاثهم في الفلك مشهورة لمراقبتهم الشمس والقمر والسيارات واضطرارهم لضبط الوقت فنقحوا جداول بطليموس واكتشفوا بعض انواع الخلل في حركة القمر الامر الذي كان حتى اواخر القرن الماضي منسوباً اكتشافهُ الى تيخوبراهي[٧] وهم اول

(١) كاجوري : تاريخ الرياضيات وجه ١٠٣
(٢) « : « « « ١٠٣
(٣) « : « « « ١٠٧
(٤) « : « « « ١٠٦
(٥) « : « « « ١٠٥ والمستشرق
كرلو نلينو علم الفلك « ٢٤٤ و٢٤٥
(٦) كاجوري تاريخ الرياضيات « ١٠٦
(٧) كاجوري : « « « ١٠٥

من وجد بطريقة علمية قانونية طول درجة من خط نصف النهار [١]. وذلك بطلب الخليفة المأمون. ولكي نعلم اهمية القضية اقول انهُ انقضى نحو ٨٠٠ سنة قبلما استطاعت اوروبا ان تتناولها وتعيد القياس على الطريقة نفسها. وتبعاً للمبدأ ذاتهِ. واقاموا عدة مراصد وصححوا الجداول الخاصة بحركات القمر. وعرفوا استدارة الارض وعملوا بموجب هذه المعرفة [٢] واجروا عدة ارصاد وتجارب تتوقف عليها. وقالوا بدوران الارض على محورها [٣]. وبالجملة نقول ان العرب امتازوا على اليونان في علم الفلك لانهم جعلوهُ استقرائياً ولم يقفوا فيهِ عند حدّ النظريات كما فعل اليونان اي انهم خرجوا بهِ من البحث النظري الى البحث العملي [٤]

فنرى اذن ان الشرق قدّم خدمات جليلة في العلوم الرياضية والفلكية اذ وضع اصولها في القديم ولم يكتف بحفظها في الاعصر المتوسطة المظلمة بل اضاف عليها اضافات مهمة

***

والنتيجة التي توخيتها في مجالتي هذه ان العلوم ملك عام « مشاع » لجميع الشعوب والامم والافراد يتناولها كل من يجدّ ويجتهد ويسعى الى الوصول اليها والحصول عليها. ولا تنحصر بفئة من البشر دون غيرهم فتكون ملكاً خاصًّا لهم. وتمدننا الحاضر انما هو ثمرة من ثمار المعارف العلمية وتقدمها وتطبيقها على مقتضيات الحياة ومطالب العمران. فاذا رغبنا ان نخوض غمار العمران ونسير جنباً الى جنب مع سائر الامم في موكبهِ الفخم فعلينا ان نعلّم ناشئتنا الجديدة اساليب التفكير العلمي والبحث العلمي لان العلم اساس الثروة ولا رقي للامم والشعوب الاَّ بالمال وبرجال يخلقون المال

الكلية منصور جرداق

---

(١) كرلو نلينو : علم الفلك وجه ٢٨١ الى اسفل وجه ٢٨٩
(٢) « : علم الفلك « ٢٦٥ و٢٨٩
(٣) « « « « ٢٥١
(٤) مجلة الهلال عدد اذار (مارس) ١٩٢٨ « ٥٣١

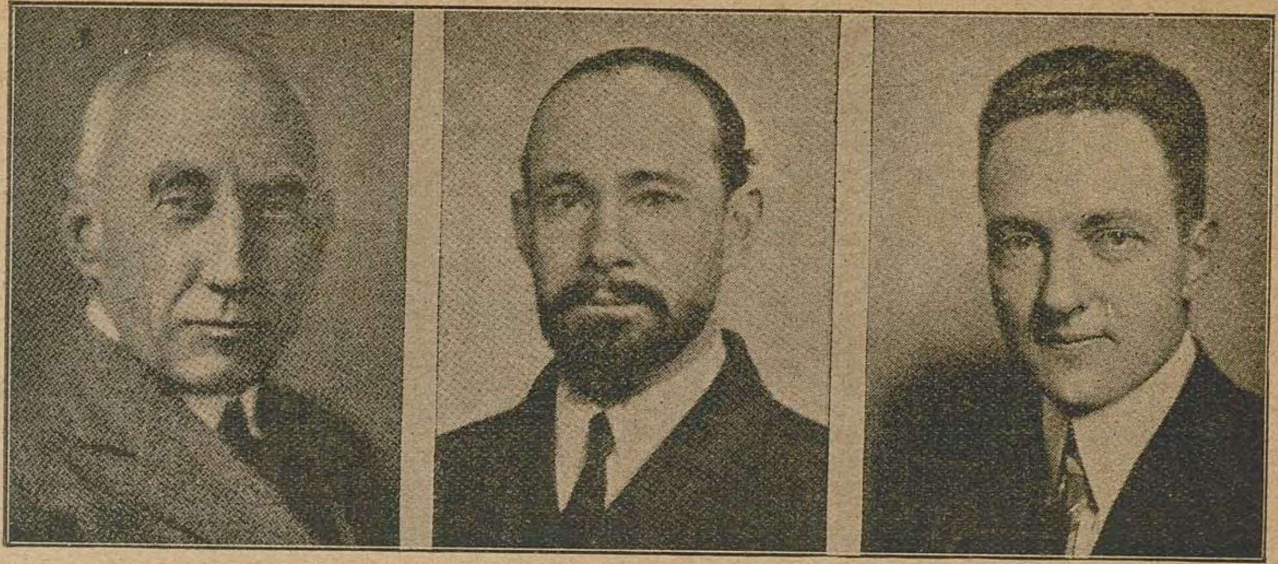

برد　　　　ولكنز　　　　امندصن

رواد الاصقاع المتجمدة الشمالية عن طريق الجو

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٢٣

# الطيران من الاسكا الى سبتسبرجن

## فوق الاصقاع المتجمدة الشمالية

الطياران يبقيان اربعة ايام في طيارتهما على جليد طاف وسبتسبرجن على مقربة منهما

### ١

ما زال القطبان قبلة الرّواد يتسابقون الى اكتشافهما واقتحام مفازات الجليد الجرداء التي تحيط بهما . فعلوا ذلك اولاً مشياً على الاقدام او ركوباً في مزالق تجرها الكلاب ففاز پيري باكتشاف القطب الشمالي سنة ١٩٠٩ وامندصن باكتشاف القطب الجنوبي سنة ١٩١٢ . ولكن لما وضعت الحرب اوزارها اخذ الروّاد يفكرون في استعمال الطيارة والبلون لريادة المناطق المتجمدة. فحاول امندصن سنة ١٩٢٥ ان يطير مع ثلاثة رفاق في طيارتين من جزيرة سبتسبرجن الى القطب الشمالي فقصروا على ١٣٦ ميلاً منهُ وبعدما قضوا نحو ثلاثة اسابيع على مفازات الجليد يحاولون تخليص الطيارتين من انياب الجليد والعودة بهما الى معالم التمدن فازوا بتخليص احداهما فقط فعادوا بها مكتفين من الغنيمة بالاياب . وفي السنة التالية اعدَّ امندصن بعثة جوية للطيران فوق القطب الشمالي وقرّر ان يستعمل بلوناً بدلاً من طيارة لانهُ اكثر ثباتاً على تقلبات الجوّ واشترك مع الحكومة الايطالية في ذلك فاعدَّت البلون وطارت بهِ البعثة من خليج الملك بجزيرة سبتسبرجن الى بوينت بارو بالاسكا ومنها الى تلر بعد مرورهِ فوق القطب الشمالي . فكان امندصن بذلك اول رجل بلغ القطبين

ولكنهُ لم يكن اول رجل بلغ احد القطبين عن طريق الجوّ . ذلك ان الكومندر رتشرد برد الاميركي سبقهُ الى ذلك اذ طار من سبتسبرجن الى القطب الشمالي بطيارة اميركية وعاد الى سبتسبرجن في ١٦ ساعة في ٩ مايو سنة ١٩٢٦

### ٢

حدانا الى كتابة هذه السطور نبأُ الفوز العظيم الذي كان من نصيب الطيار الاسترالي ولكنز Wilkins في اختراق الاصقاع المتجمدة الشمالية من الاسكا الى سبتسبرجن بطيارة من ذوات السطح الواحد قوة محركها ٢٢٠ حصاناً

والكبتن جورج ولكنز رائد استرالي اشترك مع جمعية الطيران بدترويت والجمعية الجغرافية الاميركية واتحاد الصحف الاميركية في اعداد بعثة جوية الى القطب الشمالي

سنة ١٩٢٦ وخطتهُ فيها ان يطير من فربانكس بالاسكا الى بوينت بارو ومنها فوق القطب الى سبتسبرجن فاخفق في تحقيق خطتهِ حينئذٍ ولكن فوزه هذه السنة كان باهراً. فقد اطلعنا في مجلة ناتشر على نتف من رحلتهِ هذه ننقلها الى القراء فيما يلي :

قام المستر ولكنز من بوينت بارو بالاسكا في ١٥ ابريل الماضي على طيارة من ذوات السطح الواحد يسيّرها محرك قوتهُ ٢٢٠ حصاناً ويصحبهُ فيها المستر ايلسن النروجي فاجتازا المسافة بين بوينت بارو وسبتسبرجن وهي ٢٢٠٠ ميل في ٢٠ ساعة

كان الجوّ في الربع الاول من الرحلة صافياً ثم تلا ذلك مرحلة طولها نحومائة ميل كان الغيم فيها متلبداً والنظر الى مسافة بعيدة متعذراً لاضطراب الجوّ . ولما كانا على الدرجة ٨٤ من العرض الشمالي والدرجة ٧٥ من الطول الغربي رأيا غيوماً سوداء الى الشمال حسباها اولاً من نوع الغيوم التي تتكون فوق اليابسة ولكن لما كان موقعها فوق الخط الذي سار فيهِ بيري في رحلتهِ الى القطب ولماكان بيري قد اثبت ان لا يابسة هناك لم يحيدا عن خط سيرهما لتحقيق ذلك . ورأيا في اثناءِ الطيران اماكن على سطح الجليد يمكن للطيارة النزول فيها اذا اصيبت بعطل ما ولكنهما لم يحاولا النزول عليها لان الصعود بها في الجوّ امر صعب ان لم يكن متعذراً . وحينما اقتربا من غرانتلاند في جزيرة الزمير — الى غرب غرينلندا — اتجها رأساً الى سبتسبرجن من غير ان يمرّا فوق القطب الشمالي . وهبت في وجوههما رياح شديدة ورأيا غيوماً كثيفة متلبدة عند الافق الى شمال غرينلندا ( جنوبهما ) وكانت الحرارة حينئذٍ ٤٤ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد . وعلى مائتي ميل من سبتسبرجن ساءت الاحوال الجوية جدًّا فارتفعا الى علو ثمانية آلاف قدم لكي يتخطيا الغيوم المتلبدة فتعذر عليهما ذلك وصار يصعب عليهما ان يعرفا موقع خليج الملك بسبتسبرجن لينزلا فيهِ. وكان البنزين قد اخذ يقلُّ في حوض الطيارة حتى كاد ينفد فنزلا على الجليد امام مدخل خليج من خلجان سبتسبرجن يعرف بخليج الجليد «أيْس فيورد» .واستمرّ الجوّ مدلهمًّا والغيوم متلبدة والرياح شديدة الهبوب اربعة ايام متواصلة قضياها في طيارتهما وفي صباح اليوم الخامس ( ٢١ ابريل ) صفا الجوّ فاستأنفا طيرانهما فوصلا جرين هاربر من غير صعوبة . وقد ثبت للطيارين عدم وجود يابسة في المنطقة التي طارا فوقها ولكن مجلة ناتشر تقول انهُ اذا فرضنا وجود جزائر في تلك المنطقة فلا بدَّ ان تكون مكسوة بالثلج تتعذر رؤيتها ولو كان الجوّ صافياً . وهنأتهما بفوزهما الباهر في هذه الرحلة الشاقة

الاصقاع المتجمدة الشمالية

الخط المرسوم هو الخط الذي طار فوقه امندصن وصحبهُ

بالبلون نورج في السنة الماضية

مقتطف يونيو ١٩٢٨

امام الصفحة ٦٢٤

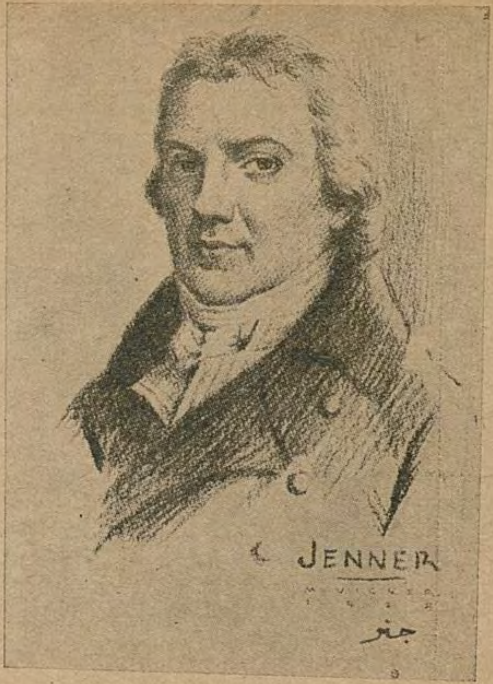


ادورد جنّر

اللادي مونتاغو

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٢٥

# اركان الطب الحديث

## المكتشفات العلمية الحديثة

### التي بُنيت عليها طرق معالجة الامراض ومكافحتها والوقاية منها

#### جنر والتطعيم

كان مرض الجدري من أفتك الامراض فاذا لم يقتل من يصيبهُ تركهُ في الغالب اعمى او قبيح المنظر . وكان الناس في تركيا قد وجدوا بالاختبار انهم اذا تطعموا بصديد من مجدور جدريّهُ خفيف اصابهم جدري خفيف وقاهم من الجدري الثقيل . وتعلمت ذلك اللادي مونتاغو وهي في القسطنطينية واذاعت ما تعلمتهُ في بلاد الانكليز لكن هذا النوع من التطعيم لم يكن سليماً دائماً واذا سلم المطعم بهِ فقد يعدي غيرهُ بجدري مميت. ويقال ان فتاة حلاّبة سمعت اناساً يذكرون الجدري فقالت انها آمنة على نفسها لانها عديت مرة بجدري البقر . وكان ذلك على مسمع من جنر . فخطر لهُ ان جدري البقر قد يكون واقياً من الجدري الذي يصيب البشر وأسلم عاقبة من التطعيم بالجدري نفسهِ . والمرجح ان كثيرين من الاطباءِ سمعوا ذلك قبلهُ وتحققوهُ ولكنهم لم يبنوا عليهِ بناءً مفيداً .وهذه مزية المكتشفين والمخترعين. فانهم يرون مالا يراهُ غيرهم ولو كان ظاهراً للعيان. وكأنهُ فكَّر في الامر على هذا المنوال : فقال ان الذي يُجدر مرة لا يُجدَر مرة اخرى فالجدري يقي المجدور من الاصابة بهِ ثانية ولو كان جدريّهُ خفيفاً في المرة الاولى . وجدري البقر اخف وطأة من جدري البشر فاذا جعلنا الانسان يعدى بهِ كما تعدى الحلاّبات فالذي يصيبهُ جدريٌّ خفيف يقيهِ من ان يعدى مرةً اخرى بجدري ثقيل. وللحال شرع يجرب ذلك وتجاربهُ بدأت سنة ١٧٩٦. ونشر اول رسالة وضعها في هذا الموضوع سنة ١٧٩٨ . ومن ثمَّ شاع التطعيم للوقاية من الجدري وانتشر في المسكونة كلها كما ينتشر كل عمل مفيد

تلك هي المرحلة الاولى في نشوءِ الطب الحديث !

ذلك ان ادورد جنر كشف حينئذٍ مبدأً جديداً في الوقاية من الامراض وكان عملهُ علاوة على ذلك من اول الادلة العملية على فائدة الطريقة العلمية العملية في البحث

تلك الطريقة المبنية على الملاحظة والامتحان والقياس والاستنتاج التي شُيّد عليها صرح العلم الحديث

سحابة الجهل وعدم الثقة

وتلا ذلك اكتشاف المكرسكوب المركب فاثار اهتمام العلماء بدرس العلوم الطبيعية ومنها علم تشريح الجسم . وصحبهُ انشاء معامل كثيرة للبحث العلمي . فكشفت كذلك حقائق أساسية لا تزال قائمة الى اليوم على اساس متين من البحث والامتحان . واهمّ المباحث الطبيعية التي جرت حينئذٍ هي المباحث التي تناولت تشريح انسجة الجسم الحيّ في حالي الصحة والمرض فاثبتت فرخو وكوهنهيم وتلاميذهما ما يصيب الخلايا الدقيقة من التغير حين تصاب بمرض ما . يضاف الى ذلك استنباط سمّاعة الطبيب واوبثلمسكوبهُ لفحص القلب والعينين وما يتقلب عليهما من الاعراض

ومع ذلك بقيت طرق العلاج مكسوة بسحابة من الجهل — جهل المعالجين باسباب المرض الحقيقية وطرق انتقال العدوى. وبقيت الحال كذلك حتى اوائل الربع الاخير من القرن الماضي

ان كثيرين من الاطباء الذين لا يزالون على قيد الحياة الآن يذكرون ماكان يحدث قبيل ذلك من تفشي وباء فاتك في شعب من الشعوب او مملكة من الممالك . نعم ان الاطباء كان لديهم ما يعالجون بهِ المصابين بالجدري بتطعيمهم وفي كثير من الاحيان كان هذا التطعيم افعل وسيلة لوقاية شعوب باسرها من تفشي الوباء . ولكن امتداد رواق الجهل وعدم الثقة بهذه الوسيلة كانت اكبر الاسباب في تفشي الجدري وفتكه بالنفوس والوجوه . اما اوبئة الدفتيريا والحمى القرمزية والحمى التيفوئيدية والحمى التيفوسية والكوليرا والحمى الصفراء والطاعون وحمى الدماغ السحائية والدوسنطاريا وغيرها من الامراض المعدية فكانت تنتشر في مختلف البلدان وتفتك بالناس فتكاً ذريعاً

وكان السل الرئوي يسبب ١٢ في المائة من كل الوفيات .وامراض الاسهال التي تصيب الاطفال وما هو من قبيلها كانت تسبب ٣٠٠ وفاة من كل الف مولود . وكان الجهل باسباب العدوى وحدوث الصديد يجعل العمليات الجراحية مجازفات جانب الخسارة فيها ارجح من جانب الربح

باستور وكوخ

فالطب الحديث على ما نعرفهُ الآن يبدأ تاريخهُ من عهد باستور ومكتشفاتهِ التي

قلبت علوم الطب رأساً على عقب ووضعتها على اساس جديد من الدقة العلمية. فانهُ اثبت بالامتحان ان لبعض الامراض سبباً مكروبيًّا وان الانسان يوقى من المرض المكروبي بعدم التعرض لمكروبهِ او اذا طعّم بهِ بعد ما يضعف فعلهُ . وكان عمل روبرت كوخ خالد الاثر في ابداع طرق فنية جديدة دقيقة لزرع المكروبات واكثارها في المزدرعات المختلفة. فتمكن من التمييز بين انواع المكروبات المختلفة وتبويبها—ومن وضع القواعد التي بها تعرف علاقتها بمرض من الامراض . ولا تزال مباحث باستور وكوخ الرائد الامين للعلماءِ الباحثين في الامراض المعدية

تطبيق مباحثهما

وكان الربع الاخير من القرن التاسع عشر والسنون الاولى من القرن العشرين حافلة بالمباحث العلمية الطبية المبتكرة التي نجمت عنها حقائق كثيرة عن علاقة المكروبات بالامراض المعدية . ففي هذه المدة عرفت الطرق التي تحدث بها المكروبات اعراض الامراض كافراز سمومها في الحيوان الذي تصيبهُ . وكيف يولّد الجسم سموماً او اجساماً مضادة لهذه السموم. وهذه المكتشفات مكنت العلماء من حقن الخيل وغيرها من الحيوانات كالبقر بمكروبات بعض الامراض حتى يولّد دمها الاجسام المضادة لسموم المكروبات ثم يأخذ المصل المحتوي على هذه الاجسام ويحقن بهِ المصابون لمساعدتهم على مقاومة المرض الذي اصيبوا بهِ

وثبت ان امراض التيفوئيد والكوليرا والدوسنطاريا وما هو من قبيلها تنجم عن تلويث المآكل ومياهِ الشرب بمكروبات هذه الامراض . وان مكروبات الملاريا والتيفوس والحمى الصفراء وغيرها تنقل من المصابين الى الاصحاءِ بواسطة حيوانات تلسع المصاب فتمتص بعض دمهِ ومعهُ مكروبات المرض المصاب بهِ ثم تلسع سليماً فتوصل اليهِ المكروبات التي امتصتها مع دم المصاب فيصاب مثلهُ . فمهدت هذه المعرفة الطريق للوقاية من هذه الحميات . وثبت ايضاً ان عدوى بعض الامراض كالحصبة والحمى القرمزية تنتقل باللمس فاشار الاطباءُ بوجوب عزل المرضى في هذه الحالات لمنع اتصال العدوى بالاصحاءِ

وقد استلزم كشف هذه الحقائق صبراً جميلا وشجاعة نادرة واقداماً على المخاطر والموت واحياناً تضؤل امامها شجاعة الطيارين الذين حاولوا اجتياز الاتلنتيكي وجرأة الروّاد الذين اقتحموا مخاطر الادغال واهوال الاصقاع المتجمدة. وبعض هؤلاءِ الباحثين

كثيراً ما عرضوا انفسهم للموت لكي يثبتوا صحة حقيقة كشفوها او فائدة علاج ابتكروهُ

علم الصحة العامة

وجاء ارباب علم الصحة الواقي في اوائل القرن العشرين فاستعملوا كلَّ هذه الحقائق التي كشفها العلماء والاطباء . ونجاحهم في تطبيقها استلزم اعتمادهم على جمهور كبير من المهندسين وعلماء الحشرات والاطباء وموظفي الصحة وتعضيد الحكومات بوجه عام في وضع القوانين والسهر على تنفيذها .وما تمَّ حتى الآن في بعض البلدان يؤيد القول بان علم الصحة الواقي اذا طُبقت قواعدهُ من غير ان تعبث بها ايدي الساسة وامدَّهُ رجال الحكومات واغنياء الشعوب باموال تمكن القائمين بهِ من التوسع في تطبيقهِ جعل الارض جنة خالية من اشباح المرض والموت

ولقد اثبت علماء الكيمياء القواعد التي تقوم عليها تغذية الجسم وحاجته الى المواد الحيوية التي تدعى « الفيتامين » والتي لا مندوحة عنها لنموّ الجسم نمواً كاملاً . فهذه المباحث بينت اسباب امراض الاسكربوط والكساح والپلاغرا وغيرها وكيفية مكافحتها والوقاية منها

يضاف الى ذلك الفوائد الجمة التي نجمت عن اكتشاف اشعة اكس واشعة الراديوم المختلفة والاشعة التي وراء البنفسجي واستعمالها في معرفة اسباب العلل ومعالجتها . كذلك الكواشف الكيماوية والبيولوجية المختلفة التي تستعمل لامتحان الدم وغيره من انسجة الجسم واعضائهِ لمعرفة هل هي تقوم بعملها قياماً طبيعيًّا ام هي لسبب ما قد اعتراها خمول وضعف

واتحد علماء الكيمياء والصيدلة فاستنبطوا ادوية وعقاقير مختلفة لها شأن كبير في الطب والعلاج كالانسولين والثيروكسين والكوكايين والاثيلين وغيرها

لستر والجراحة

في سنة ١٨٦٧ عرف الدكتور جوزف لستر (لورد لستر بعدئذٍ) ما للمكتشفات باستور في اسباب الاختمار والفساد من القيمة الطبية فبنى عليها نظاماً فنيًّا للعمليات الجراحية باستعمال مضادات الفساد لقتل المكروبات التي تسبب التهاب الجروح وفسادها. ولم يكتفِ بعد فوز طريقتهِ هذه وانتشارها بقتل مكروبات الفساد بعد دخولها الى الجرح بل اخذ يفكر في منعها من دخول الجرح على الاطلاق . وكان قد عرف من بحثهِ الخاص ومن مباحث باستور ان في الجسم قوة تدفع عنهُ المكروبات وسمومها

التي تتطرق اليهِ فجعل يقلّب المسألة في عقلهِ قائلاً اذا كانت آلات الجرّاح ويداهُ واربطتهُ معقمة اي خالية من المكروبات فالراجح ان المكروبات التي في هواءِ غرفة العملية لا تكفي لاحداث الفساد وعلى ذلك بنيت الجراحة الحديثة (Aseptic) التي تعتمد على منع الفساد لا على مضادتهِ (Antiseptic) واساسها النظافة التامة وبها تمّ للجراح ما تمَّ لهُ قبلاً من منع الفساد ولكنهُ فوق ذلك تمكن من اجتناب مضادات الفساد التي تهيج انسجة الجسم

وصار بعد ذلك حديث الجراحين كحديث السحرة لغرابتهِ . فكم من حياة انقذوها بجرأتهم ولباقتهم في البضع والاستئصال . وكل ذلك ما كان ليمهد لهم لولا مباحث باستور ومن جرى مجراهُ وتطبيقها على ايدي لستر ومن حذا حذوهُ

تقدم الطب والعمران

وكان لهذا التقدم الطبي في جميع فروعهِ ونواحيهِ اثر كبير في اتساع نطاق الصناعة والتجارة . لان ضبط الامراض المعدية والسيطرة عليها مكنت جماهير من الناس من ان يقطنوا بلداناً غنية بتربتها الخصبة ومعادنها وحراجها . والقضاء على قوانين « الحجر الصحيّ » التي كانت تعيق حركة النقل والانتقال مهد السبيل لتقدم التجارة وانتشارها بجعل المعامل الكبيرة والمدن التي تعجُّ بالسكان خالية من خطر الاوبئة وما يأتي في اثرها من موت وخسارة

ان قواعد الطب الواقي وتطبيق مبادئ علم الصحة العامة مكن الاميركيين من اتمام ترعة بناما وتحويل منطقتها من ارض موبوءة الى بلاد يرتع فيها الناس في نعيم مقيم من الصحة والقوة

جندي الطب المجهول

مما تقدم يتضح ان ما كشفهُ العلماء من الحقائق الصحية الاساسية في نصف القرن الماضي وما طبقوهُ من هذه الحقائق على مقتضيات العمران يفوق كلَّ ما تقدمهُ في عصور التاريخ . والفضل في ذلك للعلماء والاطباءِ امثال الذين ذُكرت اسماؤهم ونشرت صورهم في هذه المقالة . ولكنهم كثرٌ لا يتسع المجال لذكرهم كلهم فلنمجد ذكرهم كما تمجد الامم ذكرى المجهولين من جنودها الساقطين في الحرب الكبرى في تكريمها للجندي المجهول واجلالها لذكراهُ

# النفط في الشرق الادنى

## ١ — تاريخ النفط

ورد ذكر النفط في اقدم التواريخ التي في أيدينا فما جاء عنهُ في التوراة بهذا الاسم او باسماء اخرى كالحُمَر والكُفْر والقار والزفت والزيت ما يأتي : —

جاء في سفر التكوين في بناء برج بابل (١١ : ٣٣) « وكان لهم الحُمَر بَدَل الطين» . وهذه الابراج البابلية لا تزال آثارها باقية الى يومنا وهي مبنية إما بالآجُرّ او باللبن وطينها الحُمَر اي القُفر البابلي وهو القير يؤتى بهِ من هيت على الفرات . وفي التكوين (١٤ : ١٠) « وفي غَوْر السِدّيم آبار حُمَر كثيرة » ويراد بغور السديم غور اريحا ولا يزال الحمر معروفاً هناك وهو قُفر اليهود او قُفر اليهودية. وفي سفر التثنية (٣٢ : ١٣) «وزيتاً من صَوّان الجلمود » . وفي سفر أيوب (٢٩ : ٦) « والصخر يفيض لي انهاراً من الزيت » وهذا كلهُ يشير الى النفط اي زيت الصخر

وفي التكوين في وصف الفُلْك (٦ : ١٤) «واصنع لك تابوتاً من خشبٍ قطراني واجعلهُ مساكن واطلهِ من داخل ومن خارج بالقار » ولا يزال العراقيون يقيّرون هذه القِفاف واحدها قُفّة وهي مراكب مستديرة مصنوعة من عيدان الطرفاء والتوت والصفصاف . وفي سفر الخروج في ذكر ولادة موسى (٢ : ٣) « ولما لم تستطع ان تخفيه بعدُ أخذَت لهُ سَفَطاً من بَرْدِي وطلتهُ بالحُمَر والزفت وجعلت الولد فيهِ ووضعتهُ بين الخيزُران على حافة النهر » . وهذا يشبه ما جاء عن ولادة سَرجون الاول ملك اشُور قال « وضعتني في قُفّة من الخيزُران واقفلت بابها بالقار » ( معلمة التوراة ) [1] فهذه الشواهد ما عدا الاخير منها ورد فيها الحُمَر والكُفْر والزيت بهذه الالفاظ عينها بالعبرانية مما يدل على قدمها وعلى كونها سامية

اما النفط فقد ورد ذكرهُ في سفر دانيال (٣ : ٤٦) وهذا العدد ليس في النسخة العبرانية قال«ولم يزل خدّام الملك الذين القوهم يوقدون الاتّون بالنفط والزفت والمُشاقة والزَرَجون» . وهو يشير الى قصة الفتية الثلاثة شدرخ وميشخ وعبد نجو

وورد ذكر النفط في سفر المكابيين الثاني (١ : ١٩ الى ٣٦) قال « فانهُ حين

(١) Encyclopedi Biblica

أُجلي آباؤنا الى فارس اخذ بعض اتقياء الكهنة من نار المذبح سرًّا وخبأوها في جوف بئر لا ماء فيها وحافظوا عليها بحيث بقي الموضع مجهولاً عند الجميع . وبعد انقضاء سنين كثيرة حين شاء الله ارسل ملك فارس نحميا الى هنا فبعث اعقاب الكهنة الذين خبأوا النار لالتماسها الاَّ انهم كما حدَّثونا لم يجدوا ناراً بل ماء خاثراً فامرهم ان يغرفوا ويأتوا بهِ ولما أُحضرت الذبائح امر نحميا الكهنة ان ينضحوا بهذا الماء الخشب والموضوع عليهِ فصنعوا كذلك ولما برزت الشمس وقد كانت محجوبة بالغيم اتقدت نار عظيمة حتى تعجب الجميع » الى ان قال « فشاع ذلك وأُخبِر ملك فارس انَّ الموضع الذي خبأ فيهِ الكهنة النار حين جلائهما قد ظهر فيهِ ماء وبهِ طهَّر الذين مع نحميا الذبيحة » الى ان قال « وسمَّاهُ الذين مع نحميا نِفْطَارَ اي تطهيراً ويعرف عند كثيرين بِنفْطايَ »

وذكر هيرودوتس النفط في اردريقة التي هي قيرآب بخوزستان قال ( ٦ : ١١٩ ) « قرب اردريقة بئر يخرج منها ثلاث مواد مختلفة القير ( اسفلت ) والملح والزيت فيأخذون دالية [١] يعلّقون بها سُعْناً مكان الدلو فاذا نزل السُعن في الماء رفعهُ رجل وصبَّهُ في حوض يجري منهُ الماء الى حوض آخر ثم ينعقد القير ويجمد الملح ويبقى الزيت فيغرفونهُ . والفرس يسمون هذا الزيت رادينانتي (كذا) وهو اسود منتن الرائحة « فهذه البئر هي الآن من آبار النفط التي للشركة الانكليزية الفارسية .وهم يستخرجون النفط منها وينقلونهُ في انابيب الى عبَّادان على خليج فارس ويكررونهُ هناك »

وذكر فلوطرخس عيون النفط في كركوك قال « ان الاسكندر لما وصل الى اكبتانة ( اي همدان وهو يريد كركوك ) دهش لمَّا رأى ناراً تخرج من نبع لا ينضب واعجبهُ نهر من النفط غير بعيد عن ذلك المكان وكان غزيراً جدًّا حتى كانت منهُ بحيرة والنفط شبيه بالقار الاَّ انهُ اشدّ منهُ التهاباً وهو يشتعل من لهب النار قبل وصولها اليهِ . واراد القوم هناك ان يظهروا للملك سرعة اشتعاله فنضحوا بهِ الطريق الى منزله واشعلوه فالتهب في سرعة البرق والتهبت الطريق كلها » « انتهى ما اريد نقله عن فلوطرخس » . وفي كركوك عيون نفط كثيرة منها بئر النفط التي تفجَّرت حديثاً . وهناك نار عجيبة لا تنطفىء وهي تتقد قبل ايام الاسكندر

(١) الدالية هي الشادوف في مصر والسعن نصف قربة يستقى به . واللفظة فصيحة وشائعة في السودان وهم يسمون نوعاً من اللقلق ابا سعن لجراب في عنقه كالسعن وسألتهم مرة لماذا تسمونه ابا سعن قالوا لانه يحمل سعناً قلت وما السعن قالوا قربة تقطع من نصفها نستقي منها ونتبذ فيها الذرة لعمل المريسة فراجعتها فاذا هي كما قالوا

ومن اسماء بحر لوط عند العرب البحيرة المنتنة وذلك لرائحة الكبريت والنفط فيها ومن اسمائها عند اليونان والرومان بحيرة الحُمَر (Lacus Asphaltites) وقد ذكر ديودوروس الصِقِلي" ان اهل الغَور كانوا يجمعون الحُمَر ويبيعونهُ في مصر للتحنيط وروى ذلك بلينيوس الروماني والرحالة شُو الانكليزي وفُلناي الفرنسي ولا يزال الحُمَر معروفاً هناك وهو حمر غير السديم الذي ورد ذكرهُ في التوراة كما تقدم

كذلك علماء العرب كالمسعودي وابن البيطار والقزويني وغيرهم فان كثيرين منهم ذكروا القير والحُمر والمومياء والنِفط ووصفوا هذه المعادن وصفاً دقيقاً وكانوا يستعملونها في الطب واستعمل العرب النفط في حروبهم واول من استعمله منهم هرون الرشيد في فتح هِرَقلة سنة ٢٠٢ للهجرة سار اليها على اثر كتابهِ المشهور لنقفور ملك الروم ورماها بالنفط قال الشاعر في ذلك

هَوَت هِرَقلة لمّا انْ رأت عجباً جوَّ السَمَا يُرْتمى بالنِفط والنار
كأنَّ نيراننا في جنب قلعتهم مصبَّغاتٌ على أرسان قَصَّار

وهِرَقْلَة مدينة بالروم تسمَّى الان أرِكلي وهي على ساحل البحر الاسود مما يلي خليج القسطنطينية المعروف بالبُسفور. ونقفورهذا هو نقفور الاول وكان عربيًّا من وُلْد جَبَلة بن الايهم (١)

وقبل ايامهِ اي في زمن معاويةا كتشف رجل بعلبكي اسمهُ قالينيقس هذه النار

(١) خرج من العرب قياصرة مشهورون منهم فيليبس وكان من بصرى في حوران ثم نقفور الاول من آل جبلة وابنه استبراق ثم نقفور الثاني المعروف بابن الفقاس . اما نقفور الاول صاحب الرشيد فكان لغثيطاً اي اميناً لبيت المال في عهد الملكة ايريني ثم لما رأى سوء اعمالها خلعها وولي الملك مكانها . ولعله كان يعرف العربية فكتب الى الرشيد بالعربية وكتب الرشيد اليه بخطه على ظهر الكتاب . وقد ورد اسمه في بعض التواريخ العربية تقفور وتغفور وتكفور و نقفور والصواب الاخير وهو علم يوناني معناه المنصور وكان اسمه . اما تقفور وتغفور وتكفور فكان لقباً لملوك الروم ومنه تكفور سراي في الاستانة وهو قصر في الفنار لملوك الروم والكلمة ارمنية مركبة من تاج اور اي صاحب التاج . وكان الروم يسمون آل جبلة جبلاس (Gabalas) واظنهم يلفظونها جبلة . وتولى كثيرون من آل جبلة مناصب الدولة وتتبعهم سديو في تواريخ الروم الى الفتح العثماني وقال انهم لا يزالون في الفنار . واتفق اني مررت يوماً بين الموسكي والحمزاوي في زيارة للشيخ طاهر الجزائري رحمه الله فرأيت دكان رومي كتب فوق بابه اسم صاحبه وكان جبلاس كما يكتب الروم اسم جبلة . فأحببت ان اسأله عن اسمه واصله وكنت بملابسي العسكرية فخشيت ان يرتاب بي لاننا كنا في حرب وقلت اسأله في وقت آخر . ثم خرجت من القاهرة ولم اعد اليها الا هارباً من دمشق فنسيت صاحبي

المعروفة بالنار اليونانية وعرضها على معاوية وغالى في ثمنها فابى معاوية شراءها فباعها للروم فاستعملوها في رد غارة ابنهِ يزيد على القسطنطينية ثم في رد غارة مَسْلمة بن عبد الملك في زمن اخيه سليمان . والمشهور ان العرب اطلعوا على سر عملها في فتح سلانيك سنة ٩٠٤ للمسيح على ان استعمالها في فتح هِرَقلة يدل على انهم عرفوا سرها قبل ذلك

## ٢ — القار في البلاد العربية وما يجاورها

النفط في الشرق الادنى في بقعة من الارض يحدها شمالاً خط اولهُ في باكُه على بحر قزوين وآخرهُ في اضالية بآسية الصغرى ، ويحدها غرباً خط اولهُ في اضالية وآخرهُ في عدن ، ويحدها جنوباً ساحل جزيرة العرب على البحر الهندي ، ويحدها شرقاً خط من باكُه الى آخر الخليج الفارسي فيكون معظم البلاد العربية ضمن هذه الحدود . ويُظن ان النفط في هذه البقعة لا يفوقهُ نفط في الجودة والكثرة ولاسيما ما كان منهُ في ايران والعراق . والعرب تسمي الآبار التي يخرج منها النفط عيون النفط والنفّاطات والقيارات ويسمون مستخرج النفط والقير وبائعهما نفّاطاً وقيّاراً

ومن الاماكن التي فيها نفط او قار في البقعة التي مر ذكرها باكو والعرب تقول باكُه وباكويه وهي على الساحل الغربي من بحر قزوين . قال ياقوت في معجم البلدان « باكويه بلد من نواحي الدربند من نواحي الشروان فيهِ عين نفط عظيمة تبلغ قبالتها في كل يوم الف درهم والى جانبها عين اخرى تسيل بنفط ابيض كدهن الزئبق

---

الغساني من آل جبلة . ولعله باق هناك او انه اثرى على عادة الروم فصار صاحب تجارة كبيرة في مكان آخر وعسى ان يكون ذلك . وقد كان دكانه في الطريق المؤدية الى المنزل الذي كان يسكنه الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله والسيد محب الدين الخطيب

اما نقفور الثاني فهو من ذرية رجل مسلم من طرسوس اسره الروم وحملوه الى القسطنطينية فتوفي فيها وكان من ولده بطارقة منهم الدمستق لاون فوقاس وقد اشار اليه المتنبي في قوله « اذل من ولد الفقاس منكف » وحروبه لسيف الدولة مشهورة . فلما شاخ اعتزل الحرب وقيل ترهب وصار ابنه نقفور دمستقاً مكانه . وذكر المتنبي ترهبه في قصيدته التي مطلعها « لكل امرىء من دهره ما تعودا » وكانت عادة ملوك الروم وبطارقتهم ان يترهبوا في آخر ايامهم اما طوعاً او كرهاً . اما نقفور ابنه فكانت الحرب دائمة بينه وبين سيف الدولة الى ان عاد مرة من احدى غزواته ظافراً ومعه ابو فراس اسيراً فلما دخل القسطنطينية جعله الروم ملكا عليهم . ثم ما لبث ان اغتاله البطريق يوحنا بن الشمشقيق الارمني وكان نقفور يحبه محبة الآباء لابنائهم وقد ثقفه ورباه وعلمه فنون الحرب وجعله بطريقاً ولما ولي الملك جعله دمستقاً مكانه فغدر به وقتله وهو راقد في مضجعه وقيل كان ابن الشمشقيق ابن اخته

لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً تبلغ قبالتها مثل الاولى . وحدثني من اثق بهِ من التجار انهُ رأى هناك ارضاً لا تزال تضطرم ناراً واحسب ان النار سقطت فيها من بعض الناس فهي لا تنطفئ لان مادتها معدنية »

وقال المسعودي في التنبيه والاشراف الصفحة ٦٠ « البحر الخزَري هو بحر الخزَر ومنهم من يسميهِ البحر الخُراساني لاتصالهِ ببلاد خوارزم من ارض خراسان وعليهِ ايضاً الموضع المعروف بباكُه وهي النفاطة من مملكة شِروان مما يلي الباب والابواب ومن هناك يحمل النفط الابيض . وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الارض وفيهِ جزائر مقابل النفَّاطة فيها عيون للنيران كثيرة ترى في الليل على مسافة نائية . وقد ذكرنا في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر اخبار سائر الآطام مما في المعمور من الارض كاطمة سقلية واطمة وادي برَهوت من بلاد الشِحر وحضرموت واطام البحر الخزري والباب والابواب وآطام الهنديجان بين بلاد فارس والاهواز تُرى بالليل من مسيرة اربعين فرسخاً واطمة اربوجان مما يلي الشيراوان من بلاد ماسبذان وهي المعروفة بحمة تومان مما يلي منجلان وذلك يُرى على اربعين فرسخاً من بغداد على طريق البندنجين وايراز الروز »

وقال في مروج الذهب (٢ : ٢٥) باكُه وهي معدن النفط الابيض وغيره وليس في الدنيا والله اعلم نفط ابيض الاَّ في هذا الموضع وهي بساحل مملكة شروان . وفي هذه النفَّاطة أطمة وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الاوقات تضطرم الصعداء . ويقابل هذا الساحل في البحر جزائر على نحو من ثلاثة ايام من الساحل فيها اطمة عظيمة تصفر في الاوقات في فصول السنة فتظهر منها نار عظيمة تذهب في الهواء كاشمخ ما يكون من الجبال العالية فتضيء الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك في مئة فرسخ من البر . وهذه الاطمة تشبه باطمة جبل البركان في بلاد صقلية من ارض الافرنجة الى ان قال «وبعدها اطمة وادي برَهوت وهي نحو بلاد اسفار وحضرموت من بلاد الشِحر وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عُمَان وصوتها يسمع كالرعد من اميال كثيرة تقذف في قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء » انتهى ما اريد نقلهُ

وذكر في المجلد ٣ : ٦٧ من طبعة اوربا جزيرة صقلية وسمى الجبل الذي فيها بالبركان والاطمة وفسر الاطمة « بعين النار التي تنبع من الارض » وذكر أطمة

التومان في الشيروان وقال « هي اطمة عجيبة لا يستطيع ورد الماء على اطفائها ودفعها لشدة قوتها وسلطان لهبها وهي احدى عجائب العالم »

والاطمة عند العرب عين النار سواء خرجت هذه النار من بركان كما في اطمة صقلية او من غازات خلقية مشتعلة كما في باكه وكركوك واضالية . ولم ترد الاطمة بهذا المعنى في ما عثرت عليهِ من كتب اللغة وذكرها دوزي بفتح فسكون بمعنى جبل النار وقال لعلها من اطمى باليونانية وهوِ الدخان ووضع بعد قولهِ اشارة استفهام مما يدل على تردده في الامر . وفي مادة أُطم بالعربية الفاظ تدل على النار والاحتراق منها الأَطِيْمة وهي موقد النار او اتُّون الحمَّام والعامة في بغداد تسميها الطمَّة . ومنها تأطمت النار اي ارتفع لهبها ( تاج العروس ) ومثل مادة أَطَم أَتَن والنون والميم يتبادلان . ومثلها عَثَن ومنهُ العُثَان اي الدُخان . ومن مادة أتن الاتُّون والعُثَان من اصل سامي لا اصل يوناني وان جبل اتنا بصقلية وهو بركانها المشهور من اصل سامي ولعل الفينيقين سموهُ بهذا الاسم وربما كان من اطمى باليونانية بمعنى دخان فان الفاظاً كثيرة باليونانية والعربية متشابهة وهي من لغة البشر قبل تفرقهم بعد الطوفان اي بعد ذوبان الثلج في العصر الجليدي وكان ذلك منذ الوف من السنين وكان البشر قد هلكوا في الاصقاع الشمالية وازدحم من بقي منهم في مصر وجزيرة العرب والعراق والهند وجزائر المحيط الهندي وكانت لغاتهم متشابهة في بعض الالفاظ ثم ذاب الثلج وأخذ البشر يرتحلون شمالاً فنقلوا الفاظاً كثيرة معهم لذلك نرى كثيراً من اساطير اليونان وآلهتهم والفاظهم تشبه ما عند الساميين من الالهة والالفاظ والاساطير

ومرَّ الرحالة ماركو بولو بباكه في اواخر القرن الثالث عشر وذكر عيون النفط فيها قال « في اقاصي بلاد الكدح عين ينبع منها الزيت فيخرج منهُ في اليوم ما يملأ مئة سفينة . وزيتها لا يؤكل وانما يصلح للوقود ولدَهن الابل الجرباء . والناس يأتون من الاماكن البعيدة ويجمعونهُ لانهُ لا زيت غيرهُ في تلك البلاد »

وذكر الرحالة يوناس هانواي نيران المجوس في رحلتهِ الى باكه سنة ١٧٥٤ قال « ان النار التي يسميها المجوس بالنار الدائمة هي من عجائب الكون . وهي تخرج على عشرة اميال الى الشمال من باكه بشرق وهناك معابد قديمة يقال انها بيوت النار رأيت الهرابذة[١] يعبدون النار في بيت منها وكان عددهم بين الاربعين والخمسين ، وقد جاء

(١) عبدة النار والواحد هربيذ

هؤلاءِ المساكين من بلادهم لزيارتها . وقرب المعبد شقّ في الصخر عمقهُ نحو قدمين وطوله ست اقدام وعرضهُ ثلاث تخرج منهُ نار دائمة الاشتعال وهي لا تختلف في لونها ولطافتها عن نار المصباح لكنها اكثر منها صفاءً واذا هبت الريح ارتفع لهيبها الى علوّ ثماني اقدام واذا سكنت انخفض عن ذلك ويقول الهرابذة انهُ لا يمكن دفعها واذا اطفئت اوسدّ منفذها فانها تخرج من مكان آخر . والارض هناك على مسافة ميلين او اكثر اذا كشف التراب عنها واُدنيت منها جمرة متقدة فالمكان الذي يكشف التراب عنهُ يشتعل . اما اذا نقل التراب الى مكان آخر فانهُ لا يشتعل . واذا اخذت قصبة او انبوبة من الورق وغرزت احد طرفيها في التراب وادنيت جمرة من طرفها الآخر خرج منها لهيب ولم تحترق . والقوم هناك ينيرون منازلهم ويطبخون طعامهم بهذه النار » قال السر بفرتن ردود وعنهُ اخذت ما تقدم انهُ رآهم يطبخون آجُرَّهم بهذه النار في سنة ١٨٨٤

وهذه الآطام التي ذكرها المسعودي هي عيون النار كما قال وهي معروفة في باكه الى يومنا ولعلها نضبت الآن لكثرة ما اُخرج من نفطها . وكان الفرس يعبدونها فلما فتح العرب بلاد فارس ابطلوا عبادتها وهدموا بيوت النار ورحل من بقي على المجوسية من الفرس الى الهند وهم لا يزالون فيها ولكنهم لم ينقطعوا عن بيوت النار في باكه فكانوا يزورونها سرًّا خوفاً من المسلمين الى ان اعادوها منذ ثلاثمائة سنة او اكثر وكانوا يأتون اليها من الهند . ولم تنقطع عبادتها في باكه الى سنة ١٨٨٠ ورأى السر بفرتن ردود بيتاً من بيوت النار سنة ١٨٨٤ ولم يكن فيهِ نار وانما كان يخرج غاز من شقوق في ارضهِ وكان يسهل اشعالهُ . وكانت باكه من املاك ايران فالحقها بطرس الاكبر بروسية سنة ١٧٢٣ طمعاً في نفطها ثم استرجعتها ايران وعاد الروس واستولوا عليها سنة ١٨٠٦ ومنحوا امتياز استخراج النفط منها لرجل اسمهُ موزوينف فربح منهُ اموالاً طائلة ثم نزع الامتياز سنة ١٨٧٤ واستبدلت ضريبة تدفع للحكومة . وإنَّ ابار باكه هذه اعجوبة من اعاجيب الدنيا منها بئر فتحت سنة ١٨٨٣ كان يخرج منها في اليوم الواحد عشرة آلاف طن من النفط الاسود اي خمسمائة الف صفيحة ربحها في اليوم احد عشر الف ليرة انكليزية . وهناك ابار اخرى لا تقل عنها

اما قيراب بخوزستان فقد مر ذكرها والنفط فيها ملك الشركة الانكليزية الفارسية وهم يستخرجونهُ من مكان يقال لهُ ميدان نفطون اي ساحة النفط وينقلونهُ في انابيب الى عبّادان كما مرّ ويقطرونهُ هناك

بغداد امين معلوف

# غرور الوهم

قصة لتوماس هاردي (١)

اشتهر هنري بتريك في أواسط القرن الماضي بكونهِ من ابرع المرابين واقدرهم على اقتناءِ القصور والحدائق والضياع والعقارات في مدينة لندن وضواحيها. ومعظم هذه المقتنيات آلت اليهِ لا بطرق البيع المعروفة بل كان يرتهنها من اصحابها على مقادير كبيرة من المال الى آجال معينة. وعند حلول الاجل كان اصحابها يعجزون عن فكاكها فيغلق الرهن وتصبح الرهائن ملكاً لهُ. وكان في اول امرهِ محامياً. وبمزاولة هذه الصناعة صار وكيلاً لبعض النبلاء الاغنياء. فاتسع لديهِ مجال العمل بالمراباة على الوجه السابق ذكرهُ واثرى إثراءً فاحشاً واصبح من كبار ارباب الاملاك

وكان في وقت ابتداءِ هذه القصة قد شاخ وجاوز الثمانين وكان ابنهُ الوحيد قد توفي. ولكن كان لهُ حفيدان، اكبرهما المسمى باسمهِ — هنري بتريك — متزوّج وعما قليل يرزق ولداً. وفي هذا الوقت أُصيب الجدّ بمرض عضال أنذرهُ بتصرّم حبل حياتهِ ودنوّ ساعة وفاتهِ. فكتب وصيتهُ وحبس فيها كل ما يملكهُ، من ثابتٍ ومنقول على حفيدهِ الاكبر ومولودهِ، إن كان ذكراً. وإلاَّ فعلى حفيدهِ الاصغر ومولودهِ الذكر. وإن لم يرْزَق هذا مولوداً آلت التركة الى الاقرباءِ الاباعد

وفيما هو ملقى على فراش المرض تمخَّضت زوجة حفيدهِ الاكبر اناث وبشَّرت القابلة بمولود ذكر. وكان زوجها مطبوعاً على الامتثال لامر العواطف وبمعزلٍ عن الطموح الى المعالي والارتقاءِ في معارج العز والسؤدد، مع كونهِ فرع اسرة عريقة في الدهاءِ والاحتيال وبعد النظر. ولهذا لم يكن التوفيق حليفهُ عند ما عقد زواجهُ على فتاة كان ابوها من طبقة العامَّة او ارقى منها قليلاً. على ان زوجتهُ هذه كانت آية في الحسن والجمال. فلما رآها شغف بها شغفاً يفوق الوصف وما ابطأ ان خطبها من أبيها واقترن بها وهو لا يعرف عن تاريخ حياتها الاَّ شيئاً يسيراً. وكان الى الآن لا يرى اقلّ سبب يدعوهُ الى الندم والاسف على اختيار هذه الزوجة الحسناء. واصبح همهُ محصوراً في ما تعانيهِ من الداءِ الذي ألمَّ بها بعد الولادة وهو يتمنى لها من صميم فؤادهِ الإِبلال العاجل والشفاء الكامل

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في مقتطف مارس الماضي

ولكن داءها — وكان حمَّى النفَّاس — أعضل طبيبها فلم يبق عندهُ أمل بنجاتها منهُ . ولما شعرت بأنَّ شمس حياتها مالت الى المغيب دعت زوجها هنري اليها وطلبت ان تخلو بهِ على انفراد . ثم استحلفتهُ أن يعنى بالولد بعد وفاتها اتمَّ عناية ويتوفر على رعايتهِ وتربيتهِ كأب صالح وعلى محبتهِ كأمٍ رؤوم حنون . فأقسم لها بأغلظ الايمان ووعدها أن يفعل حسب طلبها . وبعد ما سكتت هنيهة قالت لهُ انها لا تستطيع مفارقة الحياة بكذبٍ مرتّقٍ لصفاء صحيفة سيرتها وخداعٍ مدنّسٍ لطهارة سريرتها . فلا بدَّ لها من الاعتراف والإفضاء بسرّ رهيب قبلما يوافيها الحمام ويحبس لسانها عن الكلام . وقصت عليهِ حادثة تتعلَّق بنسب الولد على خلاف ما يظن

ومع كونهِ حادّ الشعور وسريع الإحساس كظم غيظهُ ونهنه من غربهِ متماسكاً متمالكاً ومتحملاً هذه الصدمة العنيفة بصبر نادر المثال . وفي تلك الليلة توفيت زوجتهُ أنات . وقبل الاحتفال بدفنها اسرع الى جدّهِ واسرَّ اليهِ كلَّ ما حدث — ولادة ابنهِ واعتراف زوجتهِ ووفاتها . وتوسّل اليهِ بمحبتهِ لهُ ان يعجل في تغيير الوصية على وجهٍ يحرم المولود الدخيل حق الارث . فاستصوب الجد هذا الامر ولم يكن في حاجة الى من يلحّ عليهِ في العمل بموجبهِ . ومن فورهِ كتب وصية اخرى حبس فيها تركتهُ على حفيدهِ الاكبر مدة حياتهِ وعلى من يولد لهُ في المستقبل من الاولادِ الذكور . ومن بعدهم ينتقل الميراث الى حفيدهِ الاصغر ادورد وورثتهِ . وبموجبها حُرم المولود الجديد ولم يُعَدّ من اعضاء اسرة بتريك

ولم تطل حياة الشيخ المرابي بعد هذه الحادثة لانَّ اطلاعهُ على السرّ الذي افضى بهِ حفيدهُ اليهِ انشأ فيهِ هزَّة غيظ وغمّ لم يستطع احتمالها فقضى نحبهُ وانضمّ الى قومهِ. وبعد فراغ هنري من قضاءِ الشؤون التي عرضت لهُ على اثر وفاة زوجتهِ وجدّهِ وجَّه التفاتهُ الى اعمالهِ الاعتيادية وقد استراحت افكارهُ من جهة النتائج السيئة التي كان يخشى وقوعها لو لم يتداركها وعزم ان يتزوج مرة ثانية عند ما يظفره حسن الحظ بالحصول على زوجة حسب مشتهى قلبهِ

ولكن كثيراً ما يعزم الناس على شيءٍ ثم يعدلون عنهُ . وذلك لانهم في الغالب يجهلون انفسهم وقلما يعرفونها كما يجب . لان مرارة النفس التي تولدت في نفس هنري بتريك بعد اطلاعهِ على سرّ زوجتهِ تحولت شيئاً فشيئاً الى كره النساء وعدم الثقة بهنَّ . ومع انهُ لقي عدة فتيات كريمات المحتد وربات حسن باهر وجمال ساحر لم يمل

فؤاده الى واحدة منهن وخاف ان يستعيد موقف الزوج ويستهدف فيه لغدر لم يكن في الحسبان وخيانة تجرّعه غصص الاحزان وتصمه بوصمة عار لا تمحى — ولذلك عاف الزواج كلّ العياف واستعان بقوّة عقله على كبح جماح نفسه ولم يهمه قطّ ان يعيش بلا نسل ولا عقب ويكون مصير التركة بعد وفاته الى اخيه واولاده قائلاً في نفسه ان هذه الخسارة ، مهما تعظم ، أيسر خطباً من تعريض اسمه للعار والشنار

وقد وفى بوعده لزوجته من جهة العناية بذلك الولد العاثر الجدّ والمنكود الحظّ فاعدّ كلّ ما مسّت اليه حاجة تربيته وتنشئته في بيته . وكان من وقت الى آخر ينظر اليه فيراه على خير ما يرام ويكلم المربية ويشدّد التوصية بمواصلة رعايته والسهر عليه . وعلى هذا الاسلوب اقام هو والولد في قصر ستابلفورد . وحدث بعد ثلث سنين انه خرج يتمشّى في حديقة القصر ونسي علبة السعوط على متّكإٍ في الحديقة . ولما رجع ليأخذها وجد الولد واقفاً بجانب المتّكإ وبيده العلبة مفتوحة وهو يلهو باستنشاق السعوط غير مبالٍ بما يسببه له من تواتر العطاس . فأُعجب هنري بشدة ثبات الطفل واصراره على مزاولة هذه اللعبة مع كل ما يعانيه من العنت والانزعاج وتفرس في وجهه فرأى عليه ملامح زوجته ثم اخذ يتأمل في سوء حالة الاطفال لاسيما الذين يكونون منبوذين كهذا الطفل الواقف امامه

ومن تلك الساعة شرع يقاوم شعوره بخيبة أمله مستعيناً على اخماد جذوره بعامل شعورٍ آخر وهو ان الانسان مفطور على المحبة. فهو بطبيعته مضطرّ ان يحب هذا الشيء او ذاك . ومن الحكمة ان يجري على هذه السنة الطبيعية . وهذا الاعتبار ولّد فيه اهتماماً صالحاً بالولد روبرت . وهذا الاسم اطلق عليه بناء على التماس والدته وهي على فراش النزع . فانها طلبت اذ ذاك ان يعمّد في غرفتها ويسمى روبرت ، خوفاً من ان يموت قبل الاحتفال بعماده علانية. ولم يخطر حينئذ ببال زوجها ان لهذا الاسم مغزى مخصوصاً . ولكنه عرف مؤخراً ، على سبيل الاتفاق ، انه اسم مركيز كريستمنستر ابن دوق سوثوسترلند وان قلب زوجته اناث كان يصبو الى هذا الشاب قبل زفافها اليه. لم يتذكّر بعض الجمل التي فاهت بها زوجته في حديثها الاخير ولم يفقه لها معنى في تلك الساعة. وأما الآن فنها استدلّ على ان المركيز هو الرجل المراد بكلامها على تاريخ روبرت الصغير

وكان كلّ يوم يقضي ساعات الصباح مجالساً لهذا الولد وهو صامت لا يفوه ببنت

شفة ، لانهُ كان مطبوعاً على قلة الكلام، والولد يطلق لسانهُ بالحديث اطلاقاً متواصلاً ثم يغادره ويدخل غرفتهُ ويمعن في التبرّم والتأفف ويعزم على مقاطعة الولد وتنكُّب مجالستهِ . ولكنهُ قلما ثبت على عزمه هذا اكثر من يوم واحد

وعلى توالي الايام ازداد هنري تعلقاً بالولد روبرت حتى اصبح تقريباً شغلهُ الشاغل والغرض الوحيد الذي يحيا لاجلهِ . وكان قبل هذا الوقت قد شعر بشيء من الغيرة لما تزوج اخوه ادورد ابنة رجل من كبار الاعيان . ولكن هذه الغيرة لم يبق لها من اثر عندما اتضح لهُ أنَّ نسب روبرت اشرف جدًّا من نسب زوجة اخيه . واخذ ذكر زوجتهِ يلطف ويطيب في ذهنهِ كلما فكَّر في ما كانت عليهِ من سلامة الذوق وحسن الاختيار مع انها ليست على شيء من كرم المحتد واصالة النسب. وبمثل هذه الاعتبارات جعل يتمحَّل الاسباب لاغتفار ضعفهِ وتسويغ محبتهِ للولد حتى اصبح يعدُّه من حيث الاصل — ان لم يكن من حيث الانماء — ممثلاً ليت هو من اشرف البيوتات الانكليزية. وكان من الذين اسرفوا في تلك الايام في احترام الملوك وانسابهم ووضعهم في مصافّ الآلهة. ولهذا كان خلاصة ما انتهى اليهِ في تأملاتهِ المبنية على هذا الاعتقاد أن الرجل الذي احبتهُ أنات من صفوة الشرفاءِ النبلاءِ فالولد ايضاً نبيلٌ وشريفٌ على رغم كل مكابر ومنازع

وكان كلما اطال التأمل في هذا الموضوع يزداد استصواباً واستحساناً لما فعلتهُ زوجتهُ المسكينة ، محاولة تحسين النسل في عشيرة بتريك . لم يجهل ما كان عليهِ اسلافهُ من ضعة الاصل وحقارة الشأن وقبح الصيت . وذكر ايضاً ان كثيرين من اقربائهِ الاحياء مقتفون خطوات آبائهم واجدادهم في طرق المثالب والمعايب . ولعله هو ايضاً مكتسب بالوراثة بعض هذه الصفات الذميمة.وكان من اسهل الامور أنها تنتقل منهُ الى روبرت لو كان من صلبهِ فيشبُّ على الشر والفساد وتنحدر شيبتهُ بحزن الى الهاوية فهو والحالة هذه يشكر الله من صميم فؤاده على ما جرى بهِ القدر وجعلهُ بمنجاة من هذا الخطر

ومما اشتهر به كلٌّ واحد من عشيرة بتريك شدة احترام النبلاء ومحاولة التشبه بهم والافتخار بالتقرُّب اليهم ولو من اوهن الوجوه وباضعف الاسباب. ففي ذات يوم قال ادورد لاخيه هنري : «ان ابنك روبرت سيكون حظهُ من دنياه مقصوراً على التنعُّم بالثروة التي تركها جدُّنا بخلاف الاولاد الذين سيولدون لي فانهم سوف يفخرون ما شاؤوا بان امهم من أسرة كريمة الاصل وعريضة الجاه » فطفر قلب هنري ابتهاجاً

بما عندهُ من الاسباب التي يستطيع بها ان يحيه أخاه ، ادورد ، ويتيه فخراً عليهِ وعلى ما يدّعيهِ لزوجتهِ من شرف الاصل

ولشدة اهتمامهِ بصبّيهِ روبرت طفق يطالع تراجم اسرة دوق سوزوستر لند ويقف على تفاصيل الاعمال المجيدة التي سجَّلها التاريخ لرجالها العظماء منذ عهد ارجاع الملكية في انكلترا فإذا بهم كلهم قد ضربوا باسهم كبيرة في التجديد والإصلاح وأبلوا أحسن بلاء في ساحات الكفاح واحرزوا قصب السبق في سياسة البلاد وإدارة شؤون الامة على الوجه الاصح الامثل وبسطوا ايديهم في البذل والإنفاق على إنشاء المدارس والجامعات والمستشفيات وغيرها من الملاجىء والمتصدقات . ثم اخذ يفحص صور أولئك الاقطاب الغطاريف ويدقّق نظرهُ في رسوم الملامح والتقاطيع ويقابل بها ما يراهُ في وجه روبرت ليرى آثار الشبه بينهُ وبينها

ولما بلغ روبرت اشدَّهُ واصبحت علاليُّ قصر ستابلفورد وغرفاتهُ تردّد صدى مرحهِ وقهقهتهِ وسائر حركات نشاطهِ اشتدَّ شعور هنري بتريك بتبكيت ضميرهِ وتوبيخ نفسهِ اشتداداً يفوق الوصف . فقد رآهُ الآن أحقَّ انسان في العالم بالاستئثار بتركة جدّهِ على بكرة أبيها . ولكنَّ ما فعلهُ عند ولادتهِ ، مدفوعاً اليهِ بعامل الخرق والرعونة ، قضى بنبذهِ وحرمانهِ هذا الحق. ولما كان قد صمَّم على ان لا يتزوَّج مرة ثانية فهذه التركة بحذافيرها ستنتقل بعد وفاتهِ الى اخيهِ واولادهِ

ولكن وصيَّة جدّهِ الاولى كانت لا تزال باقية عندهُ ؟

والى الوصيتين اتجهت افكارهُ فصارتا موضوع هجسهِ في دخولهِ وخروجهِ وقيامهِ وقعودهِ . وكان كل ليلةٍ ، بعد ما يرقد روبرت في سريرهِ ويأوي الخدم الى مضاجعهم يخلو بنفسهِ وينشر الوصية الاولى ويطالعها ويودُّ من صميم فؤادهِ لو كانت الثانية وكانت الثانية الاولى

وفي ذات ليلة بعد ما تملَّى مسامرة روبرت بضع ساعات لجَّ بهِ داعي الحرص على مصلحة هذا الولد المحبوب وعاد لا يطيق صبراً على حرمانهِ فلم يبطىء بعد خروج روبرت من عندهِ ان عمد الى الوصيَّة الاولى وارتكب جريمة التزوير في تاريخها وأخرهُ اسبوعين بحيث صار تالياً لتاريخ الوصيَّة الثانية بعد ما كان سابقاً لهُ . وهكذا حلت الوصية الاولى محلَّ الثانية

ومرَّت السنون وجاوز روبرت طور الحداثة وتوسط عصر الشباب ولكن لم يبدُ

عليهِ شيءٌ من الملامح والصفات التي كان هنري يتوقع ظهورها فيهِ بذاهب الصبر . لم تلح على وجههِ آسال آل سوزوسترلند ولا نمّت احاديثهُ على شيءٍ من ذكائهم الخارق وحصافة عقولهم النادرة . وحدث ذات يوم ان هنري بتريك لقي طبيباً مشهوراً كان صديقاً حميماً لاسرة زوجتهِ أنات وطبيباً مخصوصاً لهم يدعى لمعالجة كلّ مريض منهم . وقد عرف انات جيداً الى ان تزوَّجها هنري وانتقلت الى قصر ستابلفورد وحلَّ طبيب آل بتريك محلَّهُ . وبعد ما تعارفا وتآلفا وتجاذبا اطراف الاحاديث في كثير من الشؤون أُعجب هنري بما رآهُ في هذا الطبيب من شدة الزكانة وقوة الفراسة ورسوخ القدم في المباحث العقلية المتعلقة بعلم النفس علاوة على تضلعهِ من علم الطبّ . ولما آنس الطبيب من هنري ارتياحاً شديداً لسماع حديثهِ أفاض في الكلام على استسلام كثير من الناس لتخيلات وأوهام تتسلط على عقولهم وافكارهم حتى يتعذر عليهم الافلات منها. وكثيراً ما تنتقل بالوراثة من الاجداد والآباء الى الاولاد والحفدة. ومثل على ذلك بأم أنات وجدّتها . فانهما كلتيهما كانتا عانيتين لسلطة نوع غريب من الوهم وهو اعتقاد صحة الاحلام وعدّها من الحقائق التي لا سبيل الى إنكارها . ثم سأل هنري متلطفاً هل لاحظ شيئاً من آثار غرور الوهم على زوجتهِ ؟ وقال لهُ انهُ هو نفسهُ كان قد سبق الى ظنهِ وجود أثر لهذه الخاصة او الميل في افكار أنات ايام عزوبتها .وكانت الاستيضاحات تتوالى متعاقبة في هذا الموضوع حتى رسخ في ذهن هنري اقتناع تامٌّ أن اعتراف انات لهُ كان مبنيًّا على خداع الاوهام وانَّما اقرَّت بحدوثهِ في اليقظة لم يكن الاَّ من قبيل اضغاث الاحلام

ولكي يزداد وثوقاً من صحة هذا الامر اطلع الطبيب علي اعتراف زوجتهِ وكان قد حرص على كتمانهِ فلم يبح بهِ الاَّ لجدّهِ قبيل وفاتهِ . وماكان اعظم دهشتهُ عند ما قال لهُ الطبيب انهُ لا يستغرب صدورهذا الوهم عنها نظراً الى ماكان يعهدهُ بها من هذا القبيل

ثم واصل هنري التحري والبحث من جهات أخرى. ومن مراجعة علاقات الزمان والمكان ومقابلتها بعضها ببعض اتضح له جليًّا ان ما افضت بهِ زوجتهُ اليهِ لا يمكن ان يكون له شبه صحة على الاطلاق . فالمركيز المتَّهم بميل قلبها اليهِ — وهو من نخبة الشبان الحائزين اكبر قسط من عزَّة النفس وطهارة السيرة — كان قد برح انكلترة لسياحة طويلة قبل زواج أنات بسنة ولم يرجع الا بعد وفاتها . فحبتها له لم تكن سوى حلم انساقت الى تصديقهِ بقوة الوهم ! !

ولما عاد هنري الى قصره لقيهُ روبرت كعادتهِ هاشًّا باشًّا . فاستقبله بامتعاض داخلي لعلمهِ ان عروق وارث اسمهِ وثروتهِ لا يجري فيها سوى الدم الجاري في عروق عامة الناس . لم يبق لهُ امل بخلقٍ كريم المحتد . شريف الاصل . تحقَّق ان روبرت ابنهُ والمجد والشرف اللذين خيل اليهِ ان ابنهُ ورثهما كابراً عن كابر لم يبق لعينهما في وجههِ من اثر . نظر اليهِ فلم يستطع — كما استطاع من قبل — ان يقرأ التاريخ في وجههِ ويتبين آثار الادهار في عينيه

ومن ذلك اليوم فصاعداً اخذ ميلهُ اليهِ يزداد ضعفاً وفتوراً وشرع يلاحظ ملامح عشيرة بتريك ظاهرة عليهِ ظهوراً جليًّا غير مصحوبة باقل علامة من ملامح الشرفاء الذين علل نفسهُ بانتساب روبرت اليهم

ثم تذكَّر نزقهُ وتسرُّعهُ في الحكم على زوجتهِ بما خدش جبين طهرها وعفافها وتذكر ايضاً إقدامهُ على اقتراف جريمة التزوير في الوصية الاولى تعلُّلاً بامل كاذب فاحفظتهُ هذه الذكرى المرَّة واضرمت في قلبهِ نار الغيظ وحقَّرتهُ في عيني نفسهِ . وذلك التزوير الذي ارتكبهُ في الوصية رآه الآن مجسماً في اسم ابنه — روبرت — وممثلاً للهزء والسخرية اصدق تمثيل ، اذ كان مَثَل ابنهِ الحامل لاسم المركيز مثل الحمار اللابس جلد الاسد ! وتعزيتهُ الوحيدة بهِ صدق نبوَّته اي كونه ابنهُ حقًّا

وبعد ايام كان المركيز في جوار قصر ستابلفورد . فلقيهُ هنري بتريك وشاهد محياه طافحاً بعلامات المجد والشرف . وفي اليوم التالي إذ كان جالساً في مكتبهِ قُرِع بابهُ . فصاح :

« من القارع ؟ » « انا روبرت »

ولما دخل زعق بهِ صاخباً مزمجراً وقال لهُ :

« دع عنك هذا الاسم ( روبرت ) الذي لستَ منهُ ولا قلامة ظفر ! وقل عن نفسك انك واحد من اهل بتريك السوقة . لماذا لا يكون صوتك كصوت المركيز روبرت الذي رأيتهُ امس ؟ لماذا لا يكون لك ما لهُ من ملامح المجد والشرف وامارات العزّ والسؤدد ؟ » فاجابهُ ابنهُ في حيرة وارتباك لا مزيد عليها

« ولماذا يجب ان يكون لي ذلك كلهُ ؟ وكيف تنتظرهُ مني يا أبي وانا لم اكن قط من اقربائهِ ؟ » . فصاح ابوهُ « لسوءِ حظّك وحظّي لم تكن ! »

ترجمة : اسعد خليل داغر

# الذهب الوهاج في البادية

الجهاد في رأي العرب كالوطنية في رأي الاوربيين

في الرحلة الثالثة[١] ( ١٩١٤—١٩١٥ ) يوم جاء الاستاذ موزيل ( الشيخ موسى ) دمشق كان الامير نوري الشعلان معتقلاً في الضمير فتوسط لدى الحكومة من اجله، فأطلقت الحكومة سراح النوري بعد ان تفاهمت واياهُ في ما يتعلق بمحاربة الانكليز. وعدها الامير وعداً كان الشوق الى البادية، بل الى الفرج، اكبر ما فيهِ . وأسرع بعد ذلك في الرحيل دون ان ينتظر صديقه ومنقذه الشيخ موسى

ثم سافر الشيخ موسى وهو ينشد شيخ مشايخ الروله . راح يفتش عنهُ في البادية وظل يطوّف عشرين يوماً قبل ان ظفر به في مخيّمه بخبْرة الهجْم جنوبي اللاهه في قلب الصحراء . وقد كان اوفر حظًّا في هذه الرحلة منهُ في الرحلة الاولى . كيف لا وهو الآن مندوب او شبه مندوب للدول الوسطى في الحرب العظمى ؟ كيف لا وقافلتهُ هي ضعفا ما كانت في السفرة الاولى وفي احمالها الهدايا لمشايخ البدو . رحلة علمية خيرها جزيل لا يرافقها غير الشقاء . ورحلة سياسية لا خير فيها لاحد ترافقها التجلة والكرامة . هي الحياة حتى في البادية !

وما كان اجمل استقبالهِ في مخيم النوري بخبرة الهجم . جلس اخو العرب الشيخ موسى الفلاخي (Czech) الى يمين الامير وكان في سلامه ، وفي شوقه ، وفي سؤالاته واحداً من العرب ، بل واحداً من بيت الشعلان وقد حزن حزْن واحد منهم عند ما سأل عن بعض اصدقائهِ الغائبين وسمع الجواب — « وممدوح بن سطام ، وعذوب بن مجْولَ وسعود (ابن الامير نوري ) اين هم ؟ » فاجاب الامير بكلمة واحدة : « راحوا »

ثم اخبر اخاهُ الشيخ موسى كيف قُتل عذوب في الغزو . « عادت فرسه وحدها ملطخة بالدم » . وكيف قُتل ممدوح في غزوهِ لبعض عربان شمَّر . « غزاهم في النقود فغنم جمالهم وغرَّبْ هارباً ورجاله . فكمن لهم العدو ووقع ممدوح بيد الشمامرة في شعيب العاه . جانا بخبره من نجوا و « حِنا » بتلّ العمود »

وابنهُ سعود ؟ ذهب فريسة الغدر . — « قتلهُ كلاب ابن حاذي عند ملتقى وادي النعم بوادي سرحان شمالي قراقر . جاؤوهُ غادرين يقولون انهم بأُمرة عوده

(١) راجع مقالة « البادية العربية » فى الجزء الماضي

ابي تايه . وعربان ابن حاذي يلبسون مثل عربان عوده . صدقهم سعود وأنزلهم عليهِ ، فغدروا بهِ . « ثوَّروا » البنادق على سعود ورجاله فقتلوهُ وقتلوا اربعة معهُ ، وشردوا ولكن الباقين من رجالنا لحقوا بهم فادركوهم صباح اليوم التالي ، وساقوهم الى المكان الذي سال فيهِ دم سعود ، فذبحوهم ورؤوسهم الى القبلة ذبح الغنم »

هي حياة البدو على الدوام . وقد جاء الشيخ موسى من «ديرة الفلاخ» باوروبة ينصحهم بان «يثوّروا» بنادقهم على الانكليز بدل ان «يثوروها» بعضهم على بعض. جاء يوفق بين القبائل المتعادية ويستنهضهم الى مناصرة الدولة العلية وحليفتيها المانيا والنمسا

وكان الامير نوري قد خرج من دمشق والحكومة تظن انهُ سيسعى والشيخ موسى لانجاح المشروع .ولكن الحكومات لا ترجم بالغيب وقلما يفتح البدو قلوبهم في غير البادية

قال الامير يخاطب الشيخ موسى في جلستهما الاولى السياسية : « انت يا اخي تعلم ما بقلبي ، انت تعلم اني لا اثق بالحكومة ، ولا الحكومة تثق بي . لولاك كنت اليوم لا ازال اسيراً في الغوطة . . . وهذه الحكومة تطلب مني اليوم ان اساعدها في محاربة الانكليز . تطلب من النوري الذي حاولت ان تشنقهُ منذ اربع سنوات — النوري الذي قضى سنتين بسجنها — النوري الذي خلصتهُ انت يا شيخ موسى من المشنقة . تطلب مني هذه الحكومة الملعونة الوالدين ان استنفر العربان لمحاربة الانكليز . . . . وهذه الحكومة تضرنا اذا ارادت وتضر اهلنا وعشايرنا . يلزمنا ثياب ، ويلزمنا قمح ، ويلزمنا شعير لخيلنا . وهذه لا نجدها اليوم في غير الشام . واهل الشام لا يبيعونا اذا عادينا الحكومة . اهل الشام يكرهون الحكومة مثلنا ويناصرونها علينا .فهل تلومني اذا وعدت الحكومة بالمساعدة ؟ الحكومة الملعونة الوالدين سأعطيها الوعود . . . . ولكني ادفع الميرة والله ، واساعد الحكومة بمالي . اطعمها الذهب . الذهب ! سامي باشا (المشير يومئذٍ ) أكَل ارطالاً من ذهبي . وعند ما لجأتُ اليهِ حكم عليَّ بالشنق . . . الحكومة الحاضرة لا تبغي المال — بل تبغي الرجال للحرب، وتقول لي انها تساعدني بعد الحرب على ابن الرشيد والله اعلم اذا كانت تكذب او تصدق في قولها »

فقطع نواف عليهِ الحديث قائلا : « هي تكذب يا ابي . وكيف تساعدنا وانور باشا يرسل الى ابن الرشيد السلاح والذخيرة والمال ؟ في اول هذا العام ارسل اليهِ في سكة الحديد الى الهجر خمس عشرة الف « موزر » واربعمائة خرطوشة ، ومدافع كثيرة ، وصناديق من الذهب تسلمها ابن السبهان ونقلها الى حائل . . . وهذا الانور

هو الذي صالح ابن سعود واعطاهُ النياشين . ثم اعطى ابن الرشيد السلاح والمال ليحاربهُ . . ولولا هذا الانور لما نكث ابن الرشيد عهد الصلح بينهُ وبيننا وبينهُ وبين ابن سعود . . . ترى ابي يدفع الى الحكومة اربعة آلاف ليرة كل سنة ويشتري بمالهِ ما يلزمهُ من السلاح والذخيرة ليحمي عشائرهُ، وليحمي رعايا الدولة في القرى المجاورة للبادية . اما ابن الرشيد فالحكومة تعطيهِ كل شهر مائتين وثلاثين ليرة عثمانية ، وتعطيهِ ما يبغي من السلاح والذخيرة ، فتقويهِ علينا ، فيسلب « طروشنا » ويقتل رجالنا »

النوري : وما العمل يا ابني نواف . هل يمكنك ان تحارب ابن الرشيد ؟ واين سلاحنا من سلاحهِ ؟ اربعة آلاف بندق ( بندقية ) على خمس عشرة الف موزر . وخرطوشنا ما ينفع . لا يالولَيْد . خير لنا ان نطيع الحكومة وننتظر — ننتظر الى ان تنتهي الحرب والحكومة تبغي السلم بين العشائر ونحن الروله ( تلفظ ارْوَلَه ) نبغي السلم — نحتاج الى السلم » فقال الشيخ موسى

« الحق مع والدك يا نواف . اتحدوا فيخافكم ابن الرشيد، وتخافكم الدولة . وانا الكفيل ان عشائر الفدعان يصالحونكم . ويجب ان تصالحوا كذلك ابن الرشيد »

وكان عوده ابو تايه حاضراً فافصح عما في صدرهِ بصراحة عربية لا صراحة بعدها . « وهل تظن الحكومة اننا لا نفهمها ؟ تقول لنا : السلم . وهي تبغينا للحرب. هي لا تثق بنصارى سورية ولا تثق بدروز حوران . ويلزمها جمال لتمشي الى مصر . وهي تعرف ان القبائل ما زالت متعادية فكل قبيلة تعتذر وتحيلها على عدوها . اقول انا ابو تاية للدولة : دونك وعبطان (1) ويقول لها النوري : دونك والفدعان .ويقول لها نواف : دونك وابن الرشيد . وهم يقولون لها قولنا ويحيلونها علينا. النتيجة ؟ كلنا نظل في خيامنا . . . اي بالله يلزمنا السلم . يلزمنا السلم لمصلحتنا لا لمصلحة الدولة . اكتب يا شيخ موسى الى الحكومة وقل لها اننا نمشي معها بشرط ان تردع اعداءنا وهم في الظاهر اصحابها »

الشيخ موسى : « وهل تمشي انت ورجالك يا عوده مع الجيش الى مصر ؟ »

عوده : « لا اخرج من البادية ما زال فيها خصومات . اما اذا صالحت عبطان وابن الرشيد ، واعطتني الحكومة السلاح والذهب ، — يلزمني ذهب وسلاح — امشي والله . امشي الى مصر ».وكان في مخيم الامير بعض مشائخ العمارات فقال احدهم مجيباً على

(1) عبطان بن حازي شيخ الحويطات التي كانت يومئذ معادية لحويطات عوده ابي تايه

كلمةٍ للاستاذ موزيل في الجهاد. — «الجهاد يا شيخ موسى هو ان نحمي خيامنا وطروشنا»

وفي لغة المتمدنين الجهاد هو الحرب في سبيل الوطنية، فيقول الانكليزي مثلاً الجهاد هو ان نحمي بريطانيا العظمى وممتلكاتها. لافرق اذن بين عقلية البدوي وعقلية الانكليزي. فلماذا يكرم هذا في جهادهِ، ويتهم ذاك بالوحشية؟

— «واعلم يا شيخ موسى» — الكلام لشيخ آخر من مشايخ العمارات — «اننا لا نكره الانكليز ولا نحبهم. اما اذا اقتربوا منا وحاولوا التعدي علينا فالويل لهم. . . هم الآن يحاربون الدولة فلتحاربهم الدولة بجيشها». — «يقولون ان الانكليز دواهي يأخذون املاك الناس ويسلبون حريتهم. والله يا شيخ موسى اذا جيئنا ما يأخذون غير مالنا. اما حريتنا فلا يأخذها منا غير الله . . . ولكنهم الآن بعيدون عنا فلاهم اعداؤنا ولاهم اصحابنا. و«ويش» يصير غداً — الله اعلم»

النوري: «كلامك صحيح. ولكن يجب ان نطيع الحكومة. الله ينصر الدولة»

ثم قال للشيخ موسى وهو عائد واياهُ الى الخيمة: «لا بد من الكلام السياسي، فلا يسوّد احدٌ وجهي مع الحكومة»

وظل النوري يتقلب ويتلون الى ان ظهر في الحجاز، بعد سنة، الكرنل لورنس، فغلب الخيَّال الانكليزي النسر الالماني. اجل، قد ظفر لورنس بما لم يظفر بهِ الاستاذ موزيل فجمع شمل العربان وضمهم تحت لواء الشريف — ولواء الاحلاف — وكان الفضل الاكبر في فوزهِ للذهب الانكليزي. ومن المعلوم ان الليرة الانكليزية تزيد الليرة العثمانية عشرين غرشاً. ومن المعلوم — اليوم — ان عقلية الاحلاف هي مثل عقلية شيخ العمارات الذي قال: «الجهاد (الحرب) هو الدفاع عن خيامنا وطروشنا»

فهل يلام العرب اذا هم فضلوا لورنس والشريف على موسى والجمال؟ وهل يلامون في ما تقاضوهُ للدفاع عن الانكليز والفرنسيس، ونحن نرى اليوم انقلاب الآية؟

قد كشفت لنا الايام. بعد تسع سنين من الهدنة، عن بواطن الاحلاف ونياتهم، فصرنا نعذر العرب الذين فضلوا الليرة الانكليزية على الليرة العثمانية — الذين باعوا الدولة بل الدول الوسطى بعشرين من الفضة. بل صرنا نأسف لان الدول الوسطى انسحبت يومذاك من المزايدة. فلو ثبت الاستاذ موزيل وكان سخيًّا، او بالحري لو كان موكلوه أسخياء، لانقلبت الآية، ولَباع العربُ لورنس والشريف، ودول الاحلاف جمعاء بعشرة لا بعشرين من الفضة

امين الريحاني

# العلم والعمران بعد غدٍ

## بحث العلماءِ عن قوى الطبيعة والحياة

لا نعرف موضوعاً اعلق بالنفس واكثر اتصالاً باصول الحياة في الحاضر والمستقبل القريب من موضوع العلم وما يمكن ان يصل اليه في نصف القرن المقبل وما يكون له من اثر في تقدم العمران . وقد وضع الاديب الانكليزي المشهور السر فيلب جبس كتاباً في هذا الموضوع سماه « ما بعد غد » فرأينا ان ننشر مقتطفات منه في هذا الجزء والاجزاء التي تليه :

لا جدال في القول إن التغير الجوهريّ الذي طرأ في القرن الماضي على العادات الاجتماعية في كل اقطار المسكونة قد فاق كل ما حدث من نوعهِ فيها منذ ستة آلاف سنة ويخيَّل اليَّ ان التغير الذي لا بدَّ ان يحدث في السنين الخمسين المقبلة او فيما يقلُّ عنها قد يبزُّ الانقلاب الذي تمَّ حتى اليوم ويعدوهُ

وسأورد في هذا الفصل وما يليهِ من الفصول ما اتصوَّرهُ من المستنبطات والمكتشفات التي قد تتم في المستقبل القريب، متخيراً هذين اللفظين «المستقبل القريب» بلا تحديد ، في غير معنى التنبوءُ الذي يستعملهُ لهُ المستر ولز في التنبؤات التي لا تستند الى اسس ثابتة بل تقوم على تخيلات من قبيل اوهام الشعراءِ. وقد توخيت اثبات الحقائق وايراد احدث الحقائق العلمية على ما وصل اليهِ علمي وبقدر ما ادركت من كنهها

### في المعامل الكيماوية الساكنة

يجدر بالسوقة ، وانا فردٌ منهم ان يراقبوا علماءَ هذا العصر وهم يدأبون بين جدران معاملهم الكيماوية الساكنة ، المحظور على امثالنا ولوجها . علينا ان نُعنى بذلك لانهم يقومون بمباحث متعلقة بحياتنا ، كأننا نحن المرضى الذين من اجلهم يعملون عملياتهم مع ان السواد الاعظم منا لا يفقه كنه هذه العمليات ولا يفهم الخطط التي يختطونها لوسائل معيشتنا في المستقبل. وهؤلاءِ العلماءُ الفضلاء يثابرون على اعمالهم بمنجى من جلبة الناس إما باحثين بطول أناة ، منقبين بنظاراتهم ومكرسكوباتهم في الكائنات العضوية وغير العضوية ، وإما مستقرئين التفاعل الكيماوي الذي ينجم عن اتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض، وإما متتبعين ادوار حياة الجراثيم واثرها في الاجسام الحية ، واما مقلبين بين ايديهم آلات صغيرة تتأثر بالضوءِ او تحس بالصوت . واكثرهم يباشر ذلك كلهُ ليس

السر فيلب جبس

مؤلف كتاب « ما بعد غد »

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٤٨

رغبة في البحث لذاته وانما لافادة البرية بأسرها . ولا بدّ ان تحدث تجاربهم العلمية تغييراً عظيماً في عادات الناس وانظمة معيشتهم

وليس الكتمان من سجايا العلماء الا الى حين ريثما تثبت لهم الحقائق ناصعة فيذيعونها للناس . وقد شرع بعضهم فعلاً في تأليف الكتب الصغيرة ليستفيد منها الجمهور ويعلم ما يحتمل حدوثهُ في المستقبل القريب او البعيد ، وما يتوقع وجودهُ من قوى جديدة ما زالت في طيّ الخفاء

فاذا ما اقدم امرؤ مثلي من الجهلاء على التعارف باولئك العلماء فانهم لا يصدفون عنهُ ولا ينكرون عليه الارتشاف من منهلهم العذب ولكنهم يعمدون الى كلمات مبهمة مقتضبة يظنونها هينة قريبة التناول وهي في الحقيقة طلاسم يقف امامها امثالي مرتبكين حائرين وهم على الضد من ذلك يودون ان يماط اللثام عن مستنبطاتهم وما يرجى منها .

ولكن فرداً من افراد الطبقة الدنيا لاهمّ لهُ الاّ عمله اليومي والراحة منهُ في المساء، او امرأة عليها ان تقوم باعمال بيتها في الصباح وبواجباتها الاجتماعية في المساء، قلما تهمهما أفكار العلماء . ومع ذلك فان هذه النظريات والمباحث لا بدَّ ان تجدّد المدنيّة تجديداً جوهريّاً فتصبح معظم الاعمال التي يقوم بها الرجال الآن مزدراة في المستقبل وتتبدل ازياء النساء . حتى سبل الحياة نفسها ربما تفضي بالسائرين فيها الى عمران آخر

نعم يجب علينا ان نتتبع خطوات العلماء عن كثب لان مصدر الانقلابات الاجتماعية العظيمة لم يعُد ، في يد الفيلسوف ولا المفكر الكمالي النزعة ولا الوزير السياسي ، إذ ثبت ان هؤلاء الرجال اصحاب الفكر المجرد او النظريات السياسية لا شأن لهم في احداث اقل تغير في حياة الجمهور او في علاقات افرادهِ بعضهم مع بعض . وذلك بصرف النظر عن القليلين من ذوي الالباب السامية الذين غيروا مجرى التاريخ في العصور الغابرة او قد يغيرونهُ في اوقاتنا الحاضرة مثل لنين واتباعه الذين كانوا سبباً لتدهور شعب باسرهِ في دركات الخراب ولو الى حين . ان الرجال الذين اكتشفوا اولاً استعمال النار ، والرجل الذي اخترع عجل المركبات ، غيرهم ، كان لهم في نشوء العمران المادي شأن اعظم من شأن اي فيلسوف . وليس من ينكر ان الكيماوي والمهندس هما العاملان الوحيدان اللذان احدثا الانقلاب الخطير الذي عمَّ المسكونة في القرن الماضي لانهما خلقا كلَّ وسائل الاتصال بين شعوب الارض وغيَّرا مظاهر الحياة الفردية باستخدام قوة جديدة يسيطر عليها الانسان

الآلات والعمران

لا يخفى على كل منا ان جميع احوال الحياة الاجتماعية في كثير من البلدان قد تبدلت تبدلاً مدهشاً منذ نحو قرن من الزمان وان الذين قاموا بهذا التبديل رجال قلائل جلهم من الطبقات الوضيعة الخاملة الذكر كالذين درسوا قوة البخار في توليد الضغط في فراغات محصورة فأسفرت تجاربهم عن حلول قوى الآلات محل قوى الانسان فبدأ عصر الصناعة وما يصحبهُ من مدن غاصة بالسكان ، حافلة بالمصانع التي تقذف مداخنها بسيول عرمة من الدخان . وقد ترتب على ذلك ان بلاداً معروفة كادت تتلاشى منها وسائل الصناعات اليدوية العتيقة البطيئة الانتاج — فعجَّلت نظم الحياة بعد مضي الوف من السنين عانى الناس في اثنائها — الاَّ بعض الملاحين والتجار والعلماء والادباء والحكام — الشدائد في الانكباب على الارض التي نشأوا فيها يكدّون ، ومن عرق جبينهم يأكلون خبزهم ويحققون مآربهم الطفيفة التي تجشموا المشاق في سبيل الظفر بها . وكانوا في الغالب يعيشون ويموتون في بيئة ضيقة النطاق جدًّا لا تتعدَّى المزرعة او القرية ، وان اتسع نطاقها فما كان يجاوز وطنهم وما فيهِ من مجال فكري ضيق ووسائل بطيئة للنقل والانتقال

وفي هذا الصدد يقول عالم من اكبر علماء الانكليز « ان غاية جميع النظم الاجتماعية من اقدم الازمان هي زيادة قوة الفرد الانساني »

ويتجلى صدق هذا القول في تاريخ القرن الماضي ولاسيما في النصف الاخير منهُ الحافل بازدياد القوة الانسانية الفردية ازدياداً عظيماً وذلك بما استجدَّ حينئذٍ من الوسائط العلمية التي ذللت القوى الطبيعية حتى صيرتها تدير الآلات فتغني العمال عن احتمال مشاق الاعمال . ونعني بها البخار والكهربائية وقوة الماءِ والنفط والبنزين وغيرها وهي الوسائل التي توسل بها الانسان الى تحرير نفسهِ من اللعنة الالهية الازلية — ولعلها بركة او بعبارة اخرى نقمة تنطوي على نعمة — تلك التي حلَّت بجدنا آدم من لدن الله تعالى إذ قال لهُ « ملعونة الارض من اجلك ، ومن عرق جبينك تأكل خبزك »

إن رجلاً واحداً ونريد بهِ — هنري فورد — في قطر عظيم — ونعني بهِ جمهورية الولايات المتحدة قد اتيح لهُ في مدى حياته بتنظيمه الخاص لاعماله ان يضيف الى العالم قوة محرّكة متحركة تكاد تعادل قوى ٣٠٠ مليون حصان وهي قوة تفوق ٩٧ ضعفاً القوى الكهربائية التي يمكن ان تتولد من شلالات نياغرا . على حين ان

العالم باسره انما يستخدم من القوات المحرّكة الثابتة ما يوازي قوة ٢٣ مليون حصان تستأثر الولايات المتحدة وحدها باكثر من ٩ ملايين حصان منها

فاذا تساءل الناس قائلين — هل زاد عمل فورد وسائط سعادة الناس كما زاد القوى الآليّة كان جوابنا عن هذا السؤال الخطير منحصراً فيما سنوضحهُ من المستنبطات التي تختمر في عقول رجال العلم . أما هنري فورد نفسه فيعتقد انهُ قد زاد الحياة سعادة كما اكثر القوات الآلية اكثاراً عظيماً. ومن آرائه في هذا الشأن أن الاجير الصيني الذي يقضي في عملهِ اليومي عدة ساعات يتقاضى لاجلها دريهمات معدودات ليس اسعد من العامل الامريكي الذي يتمتع بدارهِ وسيارتهِ

وما عليك اذا شئت ان تحقق ذلك إلاَّ ان تقصد عاملاً من ركاب المركبات التي تطوف في الشوارع وتسألهُ هذا السؤال : فيقول لك إنهُ منذ بضع سنين كان يعود الى داره من عمله تعباً بحيث لا يجد متسعاً من الوقت لتغيير ثيابه فكان يتناول عشاءهُ ثم يذهب الى فراشه لينام . اما الآن فانهُ يستطيع خلع ثيابه القذرة في محل عمله وارتداء الثياب النظيفة ويرجع الى بيته قبل ان يخيم الظلام فيتمكن من استصحاب عائلته للتنزه . ثم ان ذلك العامل لا يحجم عن مصارحتك بأن زمن الارهاق قد مضى وانقضى وان كل ما يطلب منهُ في عمله الآن ان يكون اشد عناية بتنظيمهِ من قبل

اما وقد بسطنا حكم رجل من أعظم رجال الاعمال في هذا العصر بشأن استخدام القوة المحركة في المرافق البشرية — فقد توخينا الاستهلال بهِ لان العلماء العصريين على أهبة تزويد الناس بقوى جسيمة تزري بما استخدموهُ حتى اليوم في قضاء اعمالهم . وعندي ان هذا التقدم يتجلى بالاخص في طرق الاتصال بين فكر انسان وآخر وبين جماعة واخرى على حين ان العلماء ما برحوا يجدّون في امتحان واستحداث موارد جديدة للقوة

«إن النقل والانتقال — على ما يقول الاستاذ هلداين العالم الذي يعتبر من انبغ العلماء الشبان الانكليز — محدودة بسرعة الضوء. أما نحن فقد وقفنا همنا على تحقيق حالة يتسنى بها لاي شخصين على سطح الارض الاتصال احدهما بالآخر في جزء من ٢٤ جزءًا من الثانية . قد لا نحقق هاتهِ الغاية ، ولكنها أمنيتنا وسنسعى الى ادراكها بلا ونى»

فجر عصر الهواء

اما النقل التجاري — ونعني بهِ نقل الناس او البضائع من جهة الى اخرى من

جهات المعمورة — فان السنين الخمس والعشرين المقبلة او ما يناهزها قد تغير اساليبنا الخاصة بهِ، لاننا ما زلنا في فجر عصر الهواء

شهدت من زمن يقل عن عشرين سنة روّاد الطيران يمارسون تجاربهم الاولى الضئيلة الخطرة ليرتفعوا فوق الارض بآلات اثقل من الهواءِ كما رأيت بعضهم ينتحرون يأساً من امكان مكافحة الهواءِ حتى وقع نظري على رجل اسمهُ (كودى) يخرج آلة كان قد صنعها بنفسهِ صنعاً غير متقن فكانت دعائمها [1] ثقيلة ومرجلها [2] وزن نصف طن وكنا اذ ذاك نسمي تلك الطيارة «القصر البلوري» و«سيارة العائلة» وما شاكلها من الاسماء التي اطلقت عليها على سبيل التهكم لاننا ما كنا نعتقد بان ذلك الرجل يستطيع ان يطير بها حتى جاءَ يوم اتيح لهُ في صباحهِ الارتفاع بها في الجو فطار حول المطار طيراناً خفيفاً كالفراشة. وكرّر ذلك ثلاث مرات قبلما سقط وتحطمت الطيارة فسللناهُ بانفسنا من حطامها مثخناً بالجراح ولكنهُ كان مسروراً بما استهدف لهُ من الاخطار لانهُ «فاز بتحقيق رغبتهِ» كما قال

وما لبثنا بعد ذلك حتى شهدنا تقدم الطيران يتم امام عيوننا واتفق ابتداء هذا التقدم عند نشوب الحرب العالمية فاستخدمت جيوش المتحاربين الطيّارات—بعد ما حلم بها الناس احقاباً طويلة من غير ان تتعدى احلامهم دور التمني — في زيادة احتدام المذابح الانسانية ومضاعفة اهوال الحروب

وكم دهش الناس من السهولة التي أصبح الشبان يطيرون بها طياراتهم ومن قصر الزمن الذي لزمهم لتعلم الطيران—ومثلهم في ذلك مثل من يدهش من تحقق النبوءات

ومما يروى في هذا الصدد: ان صديقاً لي فرنسي الجنس كان في جزيرة جرداء من جزائر المحيط الهندي الجنوبي اذ علم عن طريق احدى البواخر التي يمّمت شطر تلك الجزيرة بأن جيوش الالمان تتقدم نحو مدينة باريس. وكان هذا اول نبإٍ سمعهُ بشأن الحرب فلم يسعهُ الاَّ ان يبحر عائداً بتلك الباخرة الى فرنسا «وطنه» — وما وطىء ارضها حتى شرع في تعلم الطيران فاتقنهُ في اسبوعين ثم اخذ يطير فوق خطوط الالمان

وكان من نتائج الحرب الفظيعة حينما تفاقمت المخاطرات بجميع انواعها واخترع

(١) الاعمدة الرفيعة العمودية القائمة بين جناحيها وذنبها لربطهما بعضهما ببعض عند الطيران
(٢) المرجل فنطاس البنزين

العلماء قوة جديدة للقتل ان زادت سرعة الطيارات وضوعفت قوتها لحمل الاثقال فاضحى كشافة الجو يطيرون بسرعة ١٠٠ ميل او اكثر في الساعة الواحدة ، وتيسر للطيارات التي تقذف القنابل قذف ما يزن طنًّا من المواد القابلة للانفجار

اما الآن فاننا دائبون على استعمال هذه الوسيلة الحديثة من وسائل النقل في طرق السلم . ولكن الى متى ؟ !

ففي فرنسا والمانيا وانكلترا وغيرها من الممالك خطوط جوية تصل المدن الاوربية الكبرى بعضها ببعض (كما هي متصلة بالسكك الحديدية) اتصالاً منتظماً بمواعيد مضبوطة كمواعيد القطرات

كنت آخر مرة في سويسرا وعزمت على العودة الى انكلترا فتناولت فطوري في مدينة بال على بحيرة كونستاس وغدائي في مدينة باريس وتناولت الشاي في كرويدون، ثم بلغت داري قبيل ميعاد تناول عشائي بساعتين مع ان داري في قرية تبعد سبعة اميال عن محطة سكة الحديد بلندن فكأني قضيت في عودتي الى بلدتي سبع ساعات بدلاً من ست وثلاثين ساعة بالقطار والباخرة — فصارت سويسرا اقرب الى بلدتي بسبب ذلك خمسة اضعاف مما كانت عليهِ قبلا — وبعبارة اخرى انها غدت قريبة من مدينة لندن قرب مدينة ادنبره لها قبل استعمال الطيارات وقريبة ايضاً مثل قرب ثغر دوفر للندن قبل استعمال القاطرات . وقد قرَّبت الطيارات كثيراً من الاقطار الاخرى النائية الى مراكز العمران الغربي وبواسطة المواصلات الجوية للنقل والانتقال قرَّبت بريطانيا العظمى اطرافَ امبراطوريتها المترامية

وفي كل سنة بل في كل اسبوع يدوَّن في التاريخ اقصى ما يبلغهُ الطيران من البعد والسرعة . وفي اول سنة ١٩٢٧ طار السير (صموئيل هور) وزير الطيران البريطاني مستصحباً قرينته الى الهند في احد عشر يوماً بمتوسط ١٠٠ ميل في الساعة الواحدة من غير عارض او عائق يعوقهُ في رحلتهِ . ثم عاد الى انكلترا من غير ان يحمل معهُ في سياحتهِ الجوية أدوات ما لتغيير ما قد يتلف من أجزاء الطيارة التي طار بها

وكان الفائز في الطيران بلا وقوف حتى آخر مارس سنة ١٩٢٧ الملازم الاول كوست وزميله اليوزباشي رينو وهما الطياران الفرنسويان اللذان طارا من مدينة باريس الى مدينة جاسك في بلاد فارس والمسافة بينهما ٣٣٩٠ ميلاً وذلك في ٣٢ ساعة

[ في الجزء القادم فصل آخر من هذا الكتاب النفيس تال لهذا الفصل ]

# دانتي والاسلام

﴿تمهيد﴾ اعلن الاستاذ أسين بلاسيوس Palacios استاذ اللغة العربية في جامعة مدريد للملأ ان دانتي الشاعر الفلورنسي الذائع الصيت قد حاكى التقاليد الاسلامية في الرواية الالهية The Divine Comedy . فاشتد الجدال : فمن جاحد منكرٍ ومن مناصرٍ مشايع . لهذا ولما للموضوع من مساس بحياتنا الفكرية في الشرق وتعميماً لفكرة الأب الاستاذ أسين انقل لقراء « المقتطف » مجمل افكارهِ وبراهينهِ مستعيناً بكتابهِ المدعو « الاسلام والرواية الالهية » الذي نقله الى الانكليزية المستر سندرلند Sinderland وطبع في لندن (سنة ١٩٢٦)

والاستاذ اسين كما قالت مجلة المشرق الغراء « أحد الاعلام المتخصصين في فلسفة الاسلام وفي طرائقهِ الصوفية وله في الشاعر دانتي رأي مخالف لمذهب العلماء في أمر الرواية الالهية » فلا غرو اذن ان أثار كتابهُ الجدل في عالم الفكر الغربي لانهُ ذهب الى ان الشاعر العبقري مدين في كثير مما كتبهُ للثقافة الاسلامية عامة والتقاليد الصوفية خاصة . والاب أسين ليس أول من فكَّر في هذا الامر الخطير ولكنهُ أول من برهن على صحته بالاساليب العلمية والبراهين المحسوسة . ولقد ظن قبله الاستاذ Blachet في مقالهِ « المصادر الشرقية للرواية الالهية » ان الاسلام كان من المؤثرات التي عملت على انتاج فكرة هذه الرواية ولم يقم الدليل على صحة رأيهِ حتى قام الاب أسين بهذه المهمة الشاقة

بحث الأب اسين اولاً في ما لقصتي المعراج والاسراء من الاثر في الرواية الالهية اذ بعد ان اختلطت قصة المعراج Ascension بقصة الاسراء Nocturnal Journey وصارتا واحدة عكف عليهما الصوفيون يدرسونهما ويأوّلون تفاصيلها وكان اشهرهم في هذا المضمار محيي الدين بن العربي المُرْسي الذي توفي قبل مولد دانتي بخمس وعشرين سنة . ثم رجح بعد البحث الطويل ان رسالة الغفران التي املتها عبقرية ابي العلاء المعري كانت ايضاً من المصادر التي اشتقت منها الرواية الالهية

واما ما جاء به ابن العربي في كتابه «الفتوحات المكية» فقد جاء مشابهاً الى درجة عظيمة لما جاء به دانتي . كما ان سورة الاعراف القرآنية في تفاصيلها مهدت السبيل الى فكرة جهنم والمطهر أو الصراط والمحشر

الاّ ان هناك زمرة من العلماء يرون ان الرواية منقولة عن التقاليد النصرانية والاقاصيص والخرافات التي كانت شائعة في اوربا في القرون الوسطى. لذلك عمد الاب اسين الى هذه الاقاصيص وبرهن انها مستقاة من التقاليد الاسلامية العربية

ولاثبات نظرية التقليد وجب بيان كيفية الاتصال والانتقال وهذه زبدة البحث:

﴿ ١ ﴾ اثبات الاتصال بالاسلام : بعد ان استقر العرب في البلاد المجتاحة واخذوا يوطدون اركان الملك اتجهت انظارهم نحو العلوم وتمكنت افكارهم في اوربا النصرانية وشعوبها عن الطرق التالية :

ا : التجارة . اتسع نطاق التجارة بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر اتساعاً سريعاً وكانت تنقل من بلدان الشرق الاسلامية الى اوربا الشمالية عن طريق نهر الفولغا Volga فخليج فنلندا فبريطانيا فغيرها من بلدان اوربا. وهذا ثابت بدليل وجود النقود العربية في تلك الاصقاع الى يومنا هذا . ثم تحولت الى منطقة البحر المتوسط في القرن الحادي عشر واصبحت تنقل الى اوربا عن طريق جنوه والبندقية . لذلك جاء تجار كثيرون من الطليان وسكنوا في مرافئ الشرق الاسلامية

ب : الحجاج . شُلَّت حركات الحج الى فلسطين إثر الفتح الاسلامي بيد انها استأنفت نشاطها بعد تأثيل الملك واستقامة النفوذ والسلطان فعقد شارلمان مع الخليفة هارون الرشيد معاهدة مشهورة شيدت على اثرها الاديرة والكنائس في فلسطين وازداد عدد القادمين للحج اليها فبلغت احدى القوافل قبيل الحروب الصليبية (١٢٠٠٠) نفس

ج : الحروب الصليبية . ونظن ان لا حاجة بنا الى تبيان اثرها غير اننا نكتفي بالاشارة الى ان النصارى قد اصطنعوا عادات المسلمين حتى في اساليب الحكم والجندية والنظام في مملكتهم اللاتينية في القدس . وقلدوا المسلمين ايضاً في الطعام واللباس

د : المبشرون . قام النصارى على اثر ما لاقوهُ من الفشل في الحروب الصليبية التي انهكت قواهم وذهبت بالعظام من رجالهم بحرب اخرى في ميدان العقل والروح — قاموا بحرب دينية تبشيرية . ولقد كانت ارسالية أباء الفرنسيسكان والدومنيكان أول الارساليات فاضطروا الى درس اللغات العربية وآداب المسلمين وعقائدهم وكانت اهم نقط الاتصال صقلية واسبانيا

ه : صقلية . هاجم النورمان ابان القرن التاسع سواحل اسبانيا وتوالت هجماتهم

على غيرها من الشواطىء حتى استقروا في القرن الحادي عشر في صقلية وظلوا فيها الى القرن الثالث عشر . وقد كان بلاط الملك روجر الثاني في بلرمو غاصًّا بالنصارى والمسلمين لا فرق بين واحد منهم وآخر . وكانوا يعرفون العربية واليونانية. فالتقى العالم المسلم بالفارس النورماني والنبيل الفرنسي بالعظيم الايطالي فتحاكت افكارهم وتبودلت آراؤهم . كيف لا والملك نفسه كان يحسن العربية تكلماً وقد حاكى المسلمين في لباسه وبعض عاداتهِ وانتقلت هذه بالذيوع الى شعب بلرمو وصقلية فايطاليا

على ان أهم عصور هذه الجزيرة واكثرها رخاءً هو عصر فردريك ملك صقلية والمانيا الذي استصحب معهُ حين اعتزم السفر الى فلسطين جماعة من المسلمين والعرب. ولما توفي كتب على قبرهِ بالعربية . فاضطرب البابا وغيرهُ من ملوك اوروبا لهذا السلوك . وفردريك هذا هو مؤسس جامعة نابولي Naples سنة ١٢٢٤ وقد جمعت بأمرهِ المؤلفات العربية وترجمت مؤلفات ابن رشد وارسطو وارسلت نسخ منها الى باريس وبولونيا ولشدة رغبته في العلم راسل علماء المسلمين في عصره وبادلهم الرأي

و : اسبانيا . خمسة اجيال انقضت من القرن الثامن الى القرن الثاني عشر ونصارى اسبانيا تحت تأثير العرب المسلمين فلما كان القرن التاسع أخذ اهل قرطبة Cordova ينسجون على منوال المسلمين في اتخاذ الحريم واكل المأكولات الشرقية ولبس الملابس الاسلامية. وازداد شغفهم بالشعر العربي والاقاصيص وانغمسوا في فلسفة الاسلام ودينه وظل هذا الاختلاط يزداد حتى ان اهل قرطبة المدعوين Mozarales استعملوا اللغة العربية في الكتابات الرسمية الى اواخر القرن الثاني عشر وقد كانوا دواماً يسافرون نحو الشمال فينقلون افكارهم الى حيث ذهبوا

يضاف الى هذا ما فعلهُ اليهود واسرى الحروب والسفراء في زياراتهم . والخلاصة اننا لو وددنا ان نذكر كل ما تركهُ العرب في اسبانيا واوربا من أثر لوجب علينا ان نستعيد في اذهاننا تمدن العرب وحضارتهم ازاء شعوب اوروبا نصف البربرية

ولما استردَّ الاسبان بلادهم وقرضوا دولة العرب اصبحت طليطلة مركزاً لنشر الثقافة الاسلامية فترجمت كتب ارسطو عن العربية مع شروح الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد . وفي عهد الفونس الحكيم اسست المدارس في مرسية Mercia مسقط رأس ابن العربي واشبيلية وفيها تعلم الطلاب من نصارى ومسلمين واشتد

الجدل الديني فيما بينهم. الى هذا نضيف اثر المدرسة العربية اللاتينية التي شيدت في اشبيلية لدرس الطب والعلوم وفيها حاضر المصلحون العرب طلابهم الاسبان من النصارى

﴿ ٢ ﴾ انتقال التقاليد الاسلامية الى اوربا عامة ودانتي خاصة

(١) لقد قلنا فيما تقدم ان الاستاذ Blachet في كتابه « المصادر الشرقية للرواية الالهية » كان اول من اشار الى اصل الرواية الاسلامي وانهُ عجز عن بيان ذلك بالبرهان المحسوس وان الاستاذ أسين أول من نجح في هذا المضمار

فهو الذي برهن على ان الاقاصيص التي ذاعت في ايطاليا والمانيا وفرنسا واسكندنافيا وارلندا — مثل رحلة القديس براندان Brandan واحلام القديس بولس والقديس متريخ Matrich مستقاة من التقاليد الاسلامية وبيّن انها وصلت الى اوروبا عن طريق الحجاج والتجار والمحاربين والمبشرين والرحالين واسرى الحروب والعلماء والمدارس . . . الخ .والذي يزيدنا يقيناً ان هذه التقاليد النصرانية التي عدّها بعضهم من اوليات الرواية الالهية لم تبرز الى الوجود الاَّ بعد انصرام القرن العاشر بينما التقاليد الاسلامية وما كان منها مختصًّا بالحياة الاخرى وما اضيف اليهِ من الآداب والاحاديث والشروح — وجدت قبل هـذا التاريخ . بل نحن على يقين من ان قصة المعراج وغيرها من التقاليد الاسلامية كانت شائعة في الاندلس واليك الامثلة

(١) كتب المدعو St. Eulagius كتاباً سماهُ Apalogeticus Martyrum وذكر فيهِ مختصراً لحياة الرسول .وفي كتابات( الموزراب )ذكر كثير للاحاديث النبوية واما Abbot Espereraindeo فقد بحث في حياة النبي وشرح معجزاته وبسط تفاصيل هذه المعجزات . وقد وجد كتاب St. Elogius الآنف الذكر في دير لير Leire في نافار Navarre مما يثبت ان القصة وصلت الى شمال الاندلس

في سنة ١١٤٣ م كتب Robert of Reading الذي كان في كلية المترجمين في طليطلة آيات من القرآن باللاتينية. وقدامر الفونس الحكيم (العاشر ) بترجمة القرآن في القرن الثالث عشر فترجمه احد رجال الدين في طليطلة ( واسمهُ Marco ) . والف (Archbishop Rodrigo, Jimenez de Rada of Toledo) تاريخاً للعرب (Historia Arabum) لا يزال موجوداً للآن ومقامهُ يرجع الى ان قصة المعراج ومعجزات الرسول قدكتبت فيهِ . واُسر احدهم وجيءَ بهِ الى غرناطة وبعد ان تخلص من الاسر اصبح اسقفاً (St. P. Paschal) والف كتاباً اقتبس فيهِ آيات من

القرآن واحاديث نبوية وخاصة عن صحيح مسلم واقتبس من قصة المعراج التي سماها Elmiregi ثم كتب القصة كاملة في الفصل الثامن من القسم الاول من هذا الكتاب. وقد بين الاستاذ اسين مشابهة ما نقل في هذا الكتاب لما كتبهُ دانتي

(ب) كل ما تقدم بيان لانتشار هذه التقاليد في اسبانيا ولكن كيف انتقلت الى ايطاليا ؟ (١) ان الاتصال بايطاليا كان متيناً ليس فقط عن طريق اسبانيا بل عن طريق بيناهُ تحت عنوان « الاتصال بالاسلام » سابقاً . ونزيد على ذلك هنا قولنا انهُ بعد فتح اشبيليه جاءها نبلاء الطليان وتجارهم واحتلوا شارعاً فيها وهذا هو St. Peter Pascha الذي عرف القصة عاش في روما نفسها ما بين ١٢٨٨ — ١٢٩٢ م وبعد ذلك بتسع سنوات (١٣٠١ م) زار الشاعر الفلورنسي البابا في روما كسفير عن بلدتهِ فلورنسا (٢) ولقد كان دانتي تلميذاً وصديقاً للمدعو Brunetto Lattini الذي الَّف كتاب Tesoretto ثم كتاب Tesaro وفي هذا الاخير منهما نرى ان تقسيم الفلسفة منقول عن ابن سينا وكذلك فيهِ حياة للرسول ومعجزاتهِ. وهذا الرجل هو الذي ارسل سفيراً عن فلورنسا سنة ١٢٦٠ م الى طليطلة حيث مدرسة الترجمة ونحن على يقين من انهُ حال رجوعهِ من اسبانيا الف كتابيهِ المذكورين

﴿ ٣ ﴾ انجذاب دانتي نحو الثقافة الاسلامية : لقد بيّنا كيف ان دانتي عاش في وسط اسلامي في ثقافته، اسلامي في تمدنهِ، وبقي علينا ان نثبت هل هو وجد في الثقافة الاسلامية ما يجذبهُ اليها ؟ فقد اتفق العلماء الذين انقطعوا لدرس دانتي على انه كان متعطشاً للمعرفة . وقال احدهم U. Cosmo ان دانتي وعى معارف عصرهِ . وما كانت معارف عصرهِ في الغالب الاَّ اسلامية فلا يعقل ابداً ان لا يقف دانتي على هذه الثقافة التي سيطرت على القاصي والداني في ذلك الزمان

في هذا الوسط عاش دانتي وهو مسوق بدافع حب المعرفة من جهة ودافع الرأي العام من الجهة الاخرى للارتشاف من مناهل الاسلام . وقد ذهب بعضهم الى ان الرجل كان له المام بالعربية او العبرية لانه حين يضع كلمات لامعنى لها يلاحظ فيها مسحة من الجذور السامية ولكن العلماء لم يتفقوا على هذه النقطة . ويقول الاستاذ أسين ان هذا الانجذاب لم يكن دينيًّا فدانتي مسيحي عريق في المسيحية وانما هو ميل علمي تهذيبي

﴿ ٤ ﴾ دانتي ومحي الدين بن العربي : قال ( نردي ) إن في وصف دانتي للحياة الاخرى وفي اتجاه افكاره نحواً من الروح الاسلامية وخاصة ما كان لهُ علاقة

بابن العربي . لانهُ كان من اتباع المذهب الاشراقي ، الذي اوجده شيخ ابن العربي الفيلسوف ابن مسرة القرطبي الاندلسي. وقد تسربت مبادئ الاشراقيين الى المذهب المدرسي الاغسطيني Augustinian scholasticism فكان من رجاله اسكندر هال وروجر بيكون وريموند أُـل . ثم انتقلت كافكار اوربية الى دانتي

فالله عند كل من ابن العربي ودانتي « نور » وكل منهما يستعمل « الانعكاس » و « الشعاع » و « البروق » و « النورانية » للتعبير عن مراده . و « تجلي » هذا النور موصوف اذاً بنفس التشابيه والمجازات . كما ان مثل الدائرة ومركزها لاظهار علاقة الخلق مع الخالق — ومثل المرآة كتوضيح لعلاقة الحقير مع العظيم — شائعان في كتابات ابن العربي ودانتي

ولقد نسج دانتي ايضاً على منوال ابن العربي في خواص الارقام ففي الفتوحات المكية فصول مستفيضة في العدد وخواصه وما فيه من الشؤم او الخير. كذلك ترى دانتي قد حاكى محيي الدين في الاعتقاد بالتدجيل والتنجيم كما حاكاه في تفسير الاحلام تفسيراً صوفيًا . . . وكل من قابل « ترجمان الاشواق » الذي الفهُ ابن العربي بما كتبهُ دانتي لا شك انهُ يجد شبهاً كثيراً : فكل من الكاتبين يخلطان الشعر بالنثر . وقد بيّن دانتي رغبتهُ في شرح قصائد في الحب كان قد نظمها وعدد لذلك الاسباب كما فعل قبلهُ ابن العربي حين اعتزم شرح ترجمان الاشواق

وبعد موت بياتريس Beatrice محبوبة دانتي بيوم ذهب الى مكان منفرد (حسب روايته بنفسه) حيث التقى بفتاة جميلة هام بها ولم يجسر على البوح بحبه فنظم هذا الحب اشعاراً (Convito, II, is, 16; III, 8, 12) : كذلك ابن العربي حين ذهب الى مكة المكرمة (١٢٠١) هام بابنة رجل تعرف عليه (حسب روايته ايضاً) فاخذ ينظم الشعر في حبها . . .

وجملة القول ان اتصال اوربا بالاسلام مكن الادباء والشعراء والعلماء من الاقتباس كما ان تقاليد اوربا ايضاً اقتبست وتأثرت من تلك البيئة الاسلامية ؛ وعليه فهذا المقال يثبت (١) اسبقية الآداب الاسلامية لغيرها في اوربا وبالتالي لدانتي أي انها وجدت قبل ان توجد تلك التقاليد او تلك الرواية . (٢) « المشابهة » بين هذه الآداب وما جاء به دانتي . (٣) اثبات « انتقال » هذه الافكار الى الغرب : حلقة متصلة من البحث : « واذن فنظرية أصل الرواية الالهية الاسلامي امر لا يمكن جحده »

جامعة بيروت الاميركية عبد اللطيف الطيباوي

# الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية

## تاريخ هذه الالعاب

ورث اليونانيون عن أسلافهم قبل التاريخ اعياداً كثيرة كما مرَّت الاشارة الى ذلك فكان لكل مدينة او مقاطعة عيدٌ خاصٌّ بها يحتفلون لاقامته بمظاهر معلومة عندهم لا يشاركهم فيها سواهم . ولكن حفلاتهم التي كانت تشترك بها جميع البلدان وهي اشهر العابهم ورياضاتهم — اقيمت في اربعة اماكن

﴿ الاول ﴾ بقرب هيكل دلفي وهو اشهر المواحي (جمع موحى وهو هيكل الوحي) عندهم التي بلغ عددها اثنين وعشرين هيكلاً .وكانت مواقعها غالباً في الغابات والحراج والقفار . وكان يُسمع من هيكل دلفي هذا صوت (أبلُّون) خارجاً من شقوق الارض .وكان يتلقى هذه الاصوات المقدسة في نظرهم او الاوامر الالهية الموحى بها للبشر كاهن عظيم فيبلغها الشعب . وانفق على بناء هذا الهيكل نصف مليون ليرة من تبرعات الملوك والرعايا حتى في القطر المصري . وكان مستودعاً لغنائم الحروب فغصَّ بالتحف والنفائس ولما خرب سُلب منهُ نحو مليون ليرة واخذ نيرون مائة صورة من النحاس

واشتهر هذا الهيكل كثيراً فكان يؤمهُ ملوك آسية الصغرى وملوك رومية العظمى عند الملمات يستنبئون فيهِ (ابلُّون) ويستوحونهُ ليعلموا مصيرهم ونتيجة حروبهم . فكانت الاجوبة التي ترجع اليهم مثل غيرها مبهمة تدلُّ على اشياء كثيرة اذا لم يصح بعضها صحَّ الآخر . وقد لا يصدُق شيءٌ منها . وقد تكون الاجوبة صريحة وصادقة في كثير من الشؤون . قيل ان قارون (اوكريسس) ملك ليديه قصد هذا الهيكل يستنبئهُ عن شؤونهِ وما يراهُ في محاربتهِ للفرس . فقال لهُ : اذا قمت بهذه الحرب هدمت مملكة كبيرة . فكان كما قال . لأن تلك الحرب دمَّرت مملكتهُ تدميراً

وأمَّهُ اهل اسبرطه يستشيرونهُ في بعض حروبهم فاجابهم : انكم ستفوزون بلا ريب اذا حاربتم بجميع قواكم . فجمعوا قواهم وظفروا بحربهم قاهرين اعداءهم

ولا غرو اذا كانت بعض تلك الاجوبة تصدق احياناً لانها من اقوال الكهنة سَدَنة الهيكل الذين كانوا يموهون على الشعب بحيل خداعة ليظهروا أن الآلهة تقولها فينطلي المحال على الشعب وكان الكهنة يعرفون اخلاق وطنيهم وسياسة بلادهم ومصير امورهم . ولاسيما ان اليونانيين عُرفوا بحبهم النادر لمواطنهم والدفاع عنها بكليتهم

فلا يكون متكهناً من يجزم بظفرهم وغلبتهم بل كأنهُ ينطق بما سيتم لهم من النصر لتفانيهم في حروبهم الوطنية الكثيرة ولاستعدادهم الدائم للاستظهار على خصومهم

وقد سمُّوا التروض في هيكل دلفي (بالالعاب البيثية) وهي التي انشأها (ابلُّون) عند ما ذبح الثعبان (بيثون) كما ورد في اساطيرهم فسمّي (بيثيان) منسوباً الى ذلك الثعبان الذي اهلكهُ . واليهِ عُزيت الالعاب . واقيمت كل اربع سنوات مرة

فوقفوا بقعة المدينة (لابلُّون) ومنعوا الناس حرثها وزرعها والتصرف بها خشية ان تبنى مدينة محلّها . ولكنهم اذنوا للمواشي فقط ان ترعى اعشابها لحاجتهم اليها ولتقديم ذبائحهم منها في الهيكل استنزالاً للوحي لانهُ كان متعذراً بدون التضحية بالقرابين للآلهة . وسموا عابدات (دلفي) المخبرات بوحي ابلُّون (بيتونيس) نسبة اليهِ لانهنَّ كنَّ يصعدنَ على مطالع مثلثة الارجل مقدسة مغشاة بجلد المسخ الذي قتلهُ ابلُّون ليستوحينَ الآلهة . وفي اثناء الحرب القرطجنية الثانية اقيمت (الالعاب الابولونية) اكراماً لابلون وذلك سنة ٢١٢ ق م

﴿ الثاني ﴾ في وادي (نيمية) وتسمى (النيمية) وهذه انشأها هرقل البطل الخرافي بعد ما ذبح الاسد النيمي الهائل الذي كان يعيث فساداً في غابة تقرب من نيمية احدى مدن ارغوليذة او (ارجوليد) واتخذ رداءهُ من جلدهِ . وكانت هذه الالعاب تقام في مدينة ارغوليذة في كل سنتين مرة

﴿ الثالث ﴾ عند برزخ قرنثية (اوكورنتس) وتسمى الأعمقية (البرزخية) وهذه جدَّدها ثيسيوس بعد ما ذبح اللصوص . وكانت تقام على برزخ قرنثية اكراماً (لنبتون) او (بوسيدون) اله البحر في كل سنتين مرة

﴿ الرابع ﴾ عند مدينة (اولمبية) التي مرَّ ذكرها وموقعها فسميت (بالالعاب الاولمبية) وهي اعظمها واعمها واشهرها وبعدها البرزخية في المرتبة

ويقال ان (الالعاب الاولمبية) انشأها البطل هرقل المشهور في الاساطير اليونانية والصواب انها قديمة جدًّا لا يعلم زمن انشائها كما سترى في تاريخها ولكنها صارت في القرن السادس قبل الميلاد اعياداً شعبية لليونانيين ومظهراً من مظاهر حياتهم العظيمة . فأُرّخت وشهرت منذ ذلك العهد البعيد . وكان للأولمبيين حق التقدم بالالعاب العامة في جميع مدن اليونان بلا استثناء . وكان يؤخذ منهم في اسبرطة حرس شُرف الملك في الحرب وكثيراً ما بالغت مدنهم في اكرام الاولمبيين حتى ان سولون اضطرَّ ان يجعل جائزة

الغالب في الالعاب الاولمبية الى خمسمائة درخمة . وجائزة الظافر بالالعاب الاثميقية الى مائة درخمة . والفرق بين اللعبين كبير ظاهر للمتأمل

وكان يتخلل سهل اولمبية الافيح الجميل نهر ( الفيوس ) تحدق بهِ الرياض الغناءُ والغابات الغيباءُ التي تأخذ بمجامع القلوب حسناً . وتملأُ الابصار جمالاً . وكان يشرف عليهِ هيكل ( زفس ) العظيم الشامخ برأسهِ الى عنان السماءِ . فلا عجب اذا كان لهذه المناظر مع جودة الاقليم وطيب المناخ تأثير في ترقية العقول وتحسين الذوق للنبوغ اليوناني

وكان هيكل ( الاولمب ) من اعظم هياكل اليونان وامنعها شيد من المرمر الفاخر بهندسة جميلة يحدق بهِ رواقٌ اعمدتهُ من المرمر وجدرانهُ بديعة النقوش والتماثيل وابوابهُ من الصُفر تبعث في النفس هيبةً وتترك في القلب روعة

وكان طول هذا الهيكل — ٢٣٠ قدماً وعرضهُ ٩٥ قدماً وعلوُّهُ ٦٨ قدماً .وفيهِ تمثال زفس الذي نحتهُ فيدياس اشهر نقاشي اليونانيين زمن بركليس وعلوهُ ستون قدماً يمثلهُ جالساً على عرش من العاج والذهب والآبنوس مزدانٍ بالنقوش ومرصَّع بالحجارة الكريمة وحولهُ إطارٌ مغشى بصور رائعة وفوق رأسهِ اكليل من الزيتون وفي يمناهُ تمثال الهة النصر بنت البسالة والقوة وفي يسراهُ صولجان مركب من جميع المعادن الثمينة يعلوهُ نسرٌ رمز السموّ

ومعظم هذا التمثال الرائع من العاج وثوبهُ ونعلاهُ من الذهب . ورأسهُ يناطح سمك ( اي سقف ) الهيكل علوًّا فلذلك عدَّ من ( عجائب الدنيا السبع ) . فكل تلك الابَّهة والعظمة والرواءِ في موقف الالعاب كانت مشجعاً للغلبة ومحرّضاً على الظفر والتفوق

واعتاد اليونانيون ان يمسحوا هذا التمثال دائماً بالزيت المقدس فيزداد لمعاناً ويعكس نور الشمس عندما تقع عليهِ فيقولون : ان من يراهُ يظن انهُ هو زفس نفسهُ بلا مراءِ . ولما سألوا فيدياس ناحت هذا التمثال العجيب : من اين علمت هيأة زفس فصوّرتهُ بهذا الشكل ؟ — اجاب انني مثلتهُ في شعر اوميروس الذي عربهُ بعضهم بقولهِ [1]

ان ابن ساتَرْنَ [2] الجليل غدت في حاجبيهِ علامة الأمرِ
وشعرهُ لألأٌ في رأسـهِ مضمخاً بالمسك والعطرِ
ذلك شعرٌ فوق رأس علا يزعزع الافق بلا نُكرِ

ولقد ظن بعضهم ان هذه الالعاب نشأت في نحو القرن السادس قبل الميلاد

(١) راجع (تاريخ اليونان) للمرحوم جرجي دمتري سرسق طبع بيروت (٢) ساترن هو (زحل)

والذي ظهر لغيرهم من المحققين : انها نشأت قديماً وهي مرافقة للانسان منذ ان درج
على بساط الغبراء . ومن اقدم الادلة على اتخاذها قبل ذلك الوقت ما يحضرني الآن
من ان ( بيلونس ابن طنطال ) ملك فريجيه الذي كان سنة ١٢٨٤ ق . م جاء بلاد
اليونان واراد الاقتران ( بهبُّود اميه ) ابنة ( اينوماوس ) الملك وكان اينوماوس قد
قتل ثلاثة عشر طالباً لابنتهِ لانهُ أُنبئَ بوحيٍ يصرّح ان صهرهُ زوج ابنتهِ يقتلهُ
فحاول ان يمنع طلاب الزواج بها استحياءً لنفسهِ . فكان يطالب من يخطب ابنتهُ الى
سباق المركبات متيقناً بفوزهِ لسرعة جري جيادهِ المطهمة التي تجرها فيقتل بانتصارهِ
هذا مغلوبهُ طالب ابنتهِ . فلما علم بيلوبس بمكيدتهِ هذه لكل من يخطب ابنتهُ ارشى سائق
جياد اينوماوس فنزع عند السباق اسفين (١) دواليب مركبتهِ فقصَّرت عن اللحاق بهِ
فاز بيلوبس . وانقلبت المركبة باينوماوس فمات . فاقترن بيلوبس بابنتهِ وخلفهُ في الملك
ويروى ايضاً ان نبتون منح بيلوبس عجلةً من ذهب وجوادين مجنحين فغلب حماهُ
وظفر بأُمنيتهِ وهي الاقتران بابنتهِ

وفي سنة ٧٧٦ ق م صارت ( الالعاب الاولمبية ) ذات شأن عند اليونانيين وكان
اول من انتصر منهم كُورِبُّس فانهُ فاز بالمحاضرة واخذ الجائزة . ومنذ ذاك الحين
صاروا يدوّنون اسماء الغالبين في سجلٍ خاص وصارت هذه السنة بدء ( التاريخ
الاولمبي ) المشهور . ولما كانوا يحتفلون بهذه الالعاب مرة في كل اربع سنوات سموا المدة
التي تتوسط بين الموسمين ( الاولمياد ) وأرَّخوا بها . فصارت ( الالعاب الاولمبية )
فناً قائماً بذاتهِ ذا انظمة وقوانين مرعية الجانب محفوظة المبادىء مدة اثني عشر قرناً
متتالية . ونشأ منها فنُّ ( التمثيل ) الذي اشتهر بهِ اليونان و ( فن الرقص ) وغيرهُ
من ( الفنون الجميلة ) ( كالموسيقى ) و ( التصوير ) و ( الشعر ) و ( النقش ) وغيرها

ولما جاء عهد المملكة المكدونية سنة ٣٥٦ ق.م وردت الى فيلبس رئيسها وملكها
ثلاث بشائر عظيمة وكان احداها ( نيل خيلهِ قصب السبق في الالعاب الاولمبية )

وسنة ٣٤٦ ق . م نال فيلبس الملك رآسة الالعاب البيثية لانتصارهِ على الفوقيين
الذين ادعوا بحقوق تملك هيكل زفس واوقافهِ . وهيأ لهُ انتصارهُ بالالعاب الالمبية الاندماج
باليونان ونيل اكاليلهم قبل نيل حريتهم

ولما حمل الاسكندر على الهند وملكها ( سنة ٣٢٧ — ٣٢٥ ق م ) واراد الرجوع

(١) خشبة يسرع بها جري الدولاب

عنها بجنوده بعد تنظيمها سرُّوا ببشارة ارجاعهم فقسمهم الى اثنتي عشرة فرقة بحسب الالعاب الاولمبية في بلاده. وامر كل فريق منهم ان يبني مذبحاً عالياً ويضحي عليه بقرابينه حسب عادة اليونان . وان يقيموا العاباً ومصارعة وسباقاً ثم قفل عنها راجعاً . وكان الاسكندر مع حذقه الفروسية والالعاب الجسدية والعزف على آلات الطرب يؤثر عليها الصيد والقنص والمقارعة في الحروب فضعف شأنها بعده

ولما تولى (دنيس) القديم سرقسطة (٤٠٥ — ٣٦٨ ق م) واراد جلاء القرطجنيين عن صقلية انتصر عليه قائدهم هملتون بحراً . وبلغ موانىء سرقسطة فحلَّ بها وخيم في هيكل المشتري الاولمبي وجعل أحجار القبور متاريس لجنوده ونهب الهياكل ونقل انفس حلاها واثمن جواهرها واخذ رداء المشتري وهو من الذهب وجعل مكانهُ رداءً من الصوف قائلاً باستهزاء : ان الرداء الذهبي لا يدفئ زفس في الشتاء ويثقل عليه في الصيف .وسنة ٦٨ م بلغت هذه الالعاب اوج مجدها وعم استعمالها عند اليونان في جميع مستعمراتهم واشترك فيها الرومان ايضاً . وبعد زوال ملك اليونان ضعف شأنها وقلت العناية بها وناصبتها المسيحية العداء لان صبغتها وثنية دينية فكان آخر العهد بها سنة ٣٩٣ م وقيل ٣٩٦ فالغيت تدريجاً . وذكر القديس يوحنا الذهبي الفم انهم كانوا يحتفلون بها بابهة في ايام تيودوسيوس وابنهُ اركاديوس في آخر القرن الرابع ثم تم الغاؤها في عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثاني في السنة العاشرة لملكه اي سنة ٤١٨ م فهدم هياكلها وحرقها ونقل تمثال زفس العظيم الثمين الى بزنطية (القسطنطينية) فاحترق سنة ٤٧٦ م.فضعف بذلك ايضاً فن التصوير والتمثيل والنقش وكان آخر غالب في مسابقاتها رجل ارمني اسمهُ فرستاد . وسنة ١٨٢٩ م اكتشف الفرنسيون آثار هيكل زفس في المورة على اثر احتلالهم اياها . وبحث الالمان عن بقية آثاره بين سنتي ١٨٧٥ و١٨٨١ فوجدوا اشياء ذات شأن من اطلاله

وجدَّد اليونان هذه الالعاب نحو سنة ١٨٦٦ كما اخبرني صديقي المرحوم الاستاذ الياس بك القدسي الدمشقي لما كان تلميذاً في كلية اثينه (اليونانية) ولكن بطريقة بسيطة واُنفق نحو ستة ملايين فرنك على ترميم الملعب (الاستاديون) ولكن في اثينة اذ ذاك وبقيت تسير ببطء الى سنة ١٨٩٦ فاعيدت قانونيًّا كما سترى

زحلة

عيسى اسكندر المعلوف
صاحب مجلة (الآثار)

# شرقي في اميركا

جانب من خطبة بليغة القاها الاستاذ نسيم صيبعة باسم جمعية الرابطة الشرقية على ملأ من رجال الحكومة والتعليم والادب وفضليات النساء في دار المحاضرات بجامعة القاهرة الاميركية رأينا ان نتحف بها قراء المقتطف لما اشتملت عليه من الملاحظات الدقيقة والآراء السديدة

في ٢٢ دسمبر سنة ١٩٢٦ ابحرت من ثغر الاسكندرية قاصداً العالم الجديد . لم كن سارياً غرّهُ قمرٌ ولم اكن رحّالة يجوب القفار ويخوض البحار بل كنت متطوعاً معي في تخفيف نكبة حلّت بالبلاد السورية فاودت بحياة رجالها وشتتت شيوخها رمّلت نساءها ويتمت اطفالها . ولم تكن السفينة تلعب بها الرياح باشدّ قلقاً من قلب ضطرب لفراق والدةٍ هي كل ما في الدنيا من بهجة وهناء وحبّ ووفاء تتقلّب على اش المرض والآلام مهددة بان يخترمها الموت بين طرفة عينٍ وانتباهتها . وقد دث ما كنت اخشاهُ وكان وداعي لها بلا املٍ في اللقاء . عفواً سيداتي وسادتي اذا ضت امام انظاركم قلباً دامياً وعيناً تترقرق فيها الدموع فالمرأة التي تربي اولادها على يمان بالله وعلى محبة القريب والتي تفهم من الامومة كل معناها والتي تشرق من جهها الصبوح شمس الامل لتنير افق الحياة الملبّد بالغيوم والتي تتعهد غرس الفضيلة حياء العزيمة في قلوب بنيها والتي تقيم من صدرها سياجاً حول تلك القلوب لئلاّ رب اليها اليأس والتي تسهر غير عاملة لطول الليالي حساباً والتي تتجلّى كملاك س يوم تهبّ عواصف الشباب وتشتد الازمات وتزمن الامراض والآلام اختصار ان المرأة التي تحدثها نفسها ان تمدّ يدها لحادث الدهر اذا مدّ يده لادها وهي تعدهم لخدمة العائلة وبالتالي لخدمة الوطن — لها في عنق بنيها ذمة ولها م ان يقدسوا ذكراها وان يستنزلوا على ضريحها رحمة من الله

***

سيداتي وسادتي : قد يتبادر للذهن الخالي ان المرء اذا ترك بينهُ وبين وطنهِ خمسة ف من الاميال البحرية اصبح فريداً وحيداً بعيداً عن الاهل والخلان . قد كان صحيحاً في قديم الزمان . اما اليوم وقد سخّر الانسان البخار والماء والهواء يب المسافات وصارت البواخر قصوراً طافية على سطح البحار فليس مستغرباً ان

تصبح الاسفار من أعظم ملاذ الحياة ان لم اقل أعظمها طرًّا . ومنذ وطئت قدماي ارض الولايات المتحدة في ١١ يناير سنة ١٩٢٧ الى ان برحتها في ١٣ اغسطس سنة ١٩٢٧ كنت كمن يحلم حلماً جميلاً . خيّل اليَّ وانا بين ابناء عشيرتي المهاجرين أني عدت الى سوريا وقد رفع الله عنها الغمة واغدق عليها ما نريدهُ لها ولجاراتها من الخير والنعمة . رأيت بلداً طيّباً واخواناً اقل ما يقال فيهم انهم عربٌ كرام يفتحون قلوبهم لضيفهم وهم يعتذرون اليهِ ويسدُّون عليهِ باب الشكر وهو يودُّ ان يفتحهُ على مصراعيهِ. وكل ما يمكنك ان تحسن بهِ اليهم هو ان تعيد على مسامعهم ذكرى البلاد التي خرجوا منها هرباً من عوامل الفناء . عندئذٍ تبرق الاسرة وتشرق الوجوه بالرغم من البكاء وصرير الاسنان . عندئذٍ يرجع الشيخ شابًّا والعجوز فتاةً حسناء . عندئذٍ تتأكد صدق ابي تمام القائل : كم منزلٍ في الارض يألفهُ الفتى . . . .

واذا ما جرى حديث هذا المنزل الاول حسبتهُ من احاديث الغرام ورأيت بما لا يقبل الشك حبًّا متأصلاً في النفس لن يمسهُ الزمان او المكان بسوء . ولا تظنوا يا سيداتي وسادتي ان حنين السوري المهاجر ينصرف الى سوريا فحسب بل ترون وتسمعون اسم مصر مقروناً باسم سوريا كأنهما توأمان وتشعرون ان آمال المهاجرين معقودة على نهضة مصر وعلى سعي المصريين الحثيث والجرائد العربية في تلك الاقطار النائية مشحونة بالاخبار عن مصر فلا تأتون على آخر مقالة عنها الاَّ رأيتم ان للحديث صلة

شرَّفني بعض اخواني بدعوتي الى حفلة في فندق بوسارت في بروكلين فلبيت الدعوة شاكراً علماً مني بانهم يريدون ان يحمّلوني اليكم السلام وان يعربوا عما تكنّهُ افئدتهم لمصر وسوريا من خاص الحب وصادق الولاء . وقد صدق ظني اذ سمعت عريف الحفلة النطاسي البارع الدكتور رزق حداد يقول :

ما نحييك وحدك اليوم بل فيك نحيي الابطال والاحرارا
وبلاداً نشتاقها ابد الدهر ونهوى ترابها والحجارا
وربوعاً بالنيل عزت وطابت ان مصراً تشرّف الامصارا
فهي ملجأ الشآم من سالف الازمان ترعى ذمامنا والجوارا
انت يا مصر منبت العز والمجد لا زلت للانام منارا

وقد قال قولهُ الخطيب المفوه اسعد الملكي وشاعر المهجر المطبوع ايليا ابو ماضي فاجبتهم بما كان يجيش بهِ صدري وبما عرفتهُ بالخُبر لا بالخبر حيث قلت :

واذا كنت احيي سوريا واحييكم فلا املك نفسي من ارسال تحية عطرة الى وادي النيل المبارك وساكنيهِ فهناك وطني الثاني وهناك امة ناهضة تعيد مجد الناطقين بالضاد وهناك اخوان كرامٌ اذا عرفت ان تكتسب ثقتهم فحدّث عن وفائهم وولائهم ولا حرج . هم الذين بدأوا بقتل الروح الطائفية في الشرق واحيوا الروح الوطنية . بارك الله فيهم . والذي اراهُ هو انهُ لا بدَّ ان يأتي يوم وعساهُ ان يكون قريباً بهِ يعترف الغرب ان سوريا وشقيقتها مصر التي تشاطرها آمالها وآلامها واحزانها هما جبهة الشرق وان هذه الجبهة اعزّ من جبهة الاسد فليعمل المصريون وليعمل السوريون وليصبروا فان الله مع الصابرين

***

ولا تظنوا حين اذكر لكم مثل هذه الحفلة ان كرم الضيافة وقف على طبقة مخصوصة من المهاجرين بل هي صفة ملازمة للفقراء قبل الاغنياء . تغديت مصادفة في مطعم صغير بجوار مدينة ديترويت مع صديق حميم لي هو الدكتور لطفي محمد السعدي من خيرة شباننا النابغين . ولما اردت ان ادفع ثمن الغداء ابتسمت صاحبة الفندق السورية ودلتني على رجل جالس في زاوية وقالت لقد دفع قبلك . اقتربت منهُ لاسألهُ عن السبب الذي حملهُ لان يضيف عن بعد اناساً لا يعرفهم فبادرني الكلام قائلاً «سمعت منذ مدة انك اتيت لخدمة انسانية وطنية وحيث لم يكن لديَّ ثياب تسمح لي ان ارافق اخواني الذين ذهبوا للسلام عليك في النزل الذي تقيم فيهِ اغتنمت هذه الفرصة لاظهر لك شعوري كواحدٍ من مواطنيك فلا تكسر بخاطري» . هززت يدهُ بعنف اذ اغلق عليَّ الكلام وخنقتني العبرات وجلست آخذ القهوة معهُ بعد الخر ولمة حضرتها في حياتي وانا اضرع الى الله ان يبارك الارض التي انبتتهُ والام التي حملتهُ

الشرق والغرب

سيداتي وسادتي : سافرت الى الولايات المتحدة ثم رجعت الى مصر ومنذ القيت عصا الترحال واستقرَّ بي النوى وانا اقف امام خارطة الكرة الارضية وأسائل نفسي أصحيح ان هنالك غرباً وشرقاً ام ان هاتين اللفظتين اسمان لم يعد لمسمياتهما وجود ؟ كانت الارض مسطحة ثابتة في زعم الاقدمين فكان للكواكب التي تنير سماءها مشرق

وكان لهذه الكواكب في الجهة المقابلة لهـذا المشرق مغرب اما اليوم وقد استدارت الارض ودارت على نفسها وحول الشمس فلكل بقعة فيها شرق ولكل قيد انملة غرب. فهي وحدة متماسكة الاجزاء يفصل بعض هذه الاجزاء عن بعضها خطوط متحركة وحواجز لا تثبت على تقلبات الزمان . الخطوط حدود يرسمها الفاتحون برؤوس حراب مغموسة بالدماء والحواجز قلاع وحصون اساسها قبور الضحايا البشرية وقوائمها جماجم بني الانسان. من الخطإِ في التعبير ان يقال عن الميادين التي تصطدم فيها المطامع وتتطاحن الاديان انها ساحات الشرف ومن الكذب على الله والناس ان يقال ان العناية الالهية تجيز للمرء ان يشتهي مال قريبهِ . خلاصة الاديان رفق ولين ومحبة وسلام وعنوان الشرف العفو عند المقدرة وكل ما يقال خلافاً لذلك زور وبهتان . اذن ليس هنالك غربٌ وشرق بل هنالك غربيٌّ وشرقي وإن شئت فقل قوي وضعيف. عالمٌ وجاهل. يقظان ونائم . متحرك وجامد . بل هنالك رؤوس تتسلسل منها الافكار متناسقة متممة بعضها لبعض وعيون ترسل النظرات الى اعماق الارض فتكشف كنوزها والى كبد السماء تستطلع اسرارها وايدٍ تتناول الاعمال فتصقلها وتنظمها مستفيدة من القديم مبتكرة من الجديد . مقتصدة في الوقت والمال . تقابلها رؤوس لا تظن خيراً الاَّ في مجدٍ قد زال وعيون لا ترى الاَّ اشباحاً في عالم الخيال وايدٍ تخالها لقلة العمل مرخية المفاصل مفككة الاوصال . كلاَّ . لم أرَ غرباً وشرقاً بل رأيت كل بقاع الارض تفيض خيراً وبركة ورأيت الناس جياداً السابق منهـا الجواد . فبكيت خيولنا المطهمة العربية وحزنت لتأخر الناطقين بالضاد

سيداتي وساداتي : لا يسمح لي الوقت ان اتحدث اليكم عن تمثال الحرية القائم على مدخل ميناء مدينة نيويورك والذي يحيي فيهِ الزائر عن ظهر الباخرة الضالة التي تنشدها الامم الحية وتتفانى في سبيلها الشعوب الناهضة. ولا عن تلك البنايات التي تناطح السحاب والتي تعني ان الارض قد ضاقت باهل المدينة طولاً وعرضاً فاخذوا يتسابقون صعداً الى السماء . بل ساقصر كلامي على بعض المظاهر التي حسبتها شواهد حية على عظمة الامة الاميركية

فورد ومعامله

ذهبت من نيويورك توًّا الى مدينة ديترويت وهي بلد السيارات بل هي بلد هنري فورد وزرت معاملهُ التي تعجُّ بمن فيها كانها قفير النحل . ووقفت امام شريط

ناطحات السحاب بنيويورك

تمثال الحرية عند مدخل ميناءها

من الفولاذ يبلغ طولهُ تسعمائة وعشرين قدماً ورأيت الاجزاء التي تتركب منها السيارة ولكل جزء ناحية خاصة تتسرب منها كما لو كانت مسيرة باشارة سحرية نحو ذلك الشريط المتحرك لتأخذ مكانها من جسم السيارة فما هي الاَّ دقائق لا تتجاوز العشر عدًّا حتى ترى سيَّارة كاملة يخرج بها سائقها من طريق السيارة التي تأتي بعدها واذا كان لك متسع من الوقت وصرفت هناك يوماً كاملاً امكنك ان تعد من الثمانية الى التسعة آلاف سيارة يخرجها ذلك المعمل ويرسلها الى اقاصي اطراف المعمور . وكنت كلما امعنت النظر في هذا الشريط واعملت الفكرة في حركتهِ المنظمة المتواصلة تجلى لي سر نجاح الاميركيين واسباب تأخرنا .خُيل اليَّ ان السيارة مجموعة افكار يأخذ بعضها باطراف البعض الآخر فيتممهُ ويزيد عليهِ .اما في هذه الجهة من العالم فلا يرسل العامل فكرة جديدة الى اول قدم في شريطنا الجامد حتى نرى تسعمائة وتسع عشرة فأساً قد ارتفعت لهدم الفكرة الجديدة والقضاء عليها في مهدها قبل ان نعطيها حقها من الدرس والتمحيص والاهتمام . فالفكرة التي تؤتي هناك ثمرها في عام يمرّ هنا عليها جيل قبل ان تختمر وقبل ان يقيّض الله لها فرداً جبّاراً يبرزها الى عالم الوجود

يمتاز معمل فورد عن غيرهِ من المعامل بكونهِ يسيطر على كل المواد الاولية اللازمة لصناعة السيارات ففيهِ تُدبغ الجلود ويُغزل القطن وتحضر كل الاجزاء التي تتركب منها السيارة وهو يكاد يكون مستقلاً عن العالم الخارجي بل هو صورة مصغرة للولايات المتحدة التي تعتمد في حياتها اكثر من غيرها على موارد بلادها وهي لا تعطي امتيازاً لشركات اجنبية لاستثمار هذه الموارد حتى لا يكون لدولها حق التدخل في شؤون البلاد الاميركية الداخلية . للاجانب ان يوظفوا اموالهم في تلك البلاد ولكن ليس لهم حق بادارة الاعمال . وهذه الفكرة ليست وليدة الحرب بل هي قديمة وقد ذكرها الرئيس ولسن منذ سنة ١٩١٣ في رسائلهِ التي عنيت جمعية الرابطة الشرقية بترجمتها الى اللغة العربية

يشتغل في معامل فورد على ما قيل لي ما لا يقل عن مائة وسبعين الف عامل يتناول الواحد منهم بين الخمسة ريالات والثمانية ريالات اميركية يوميًّا .وكان فورد اسبق الناس الى حماية عماله من غلاء المعيشة واسبقهم الى العناية باجسامهم وعقولهم في اوقات العمل وفي عيشتهم البيتية والعائلية وعنده عدد من الموظفين لا عمل لهم غير المرور على بيوت العمال ليتأكدوا من ان العامل يصرف كل ما يكسبهُ لاعاشة زوجهِ واولادهِ .وله مستشفيات لمداواة المرضى منهم ومدارس لتعليم اولادهم واخيراً خطر له ان يبيع لعماله المواد

الغذائية بارخص الاثمان الممكنة ولكنهُ تحقق بالاختبار انهُ يكاد بهذه المزاحمة يقضي على كل محال البقالة في ديترويت بالافلاس وقد سمعت قبل سفري منها انهُ سيعدل عنها

وهذا الرجل الذي لم يكن منذ اثنين وعشرين عاماً شيئاً مذكوراً والذي اصبح اليوم اكبر ممول في العالم لم تقعده سنهُ ولا ماله عن العمل ولم يكتف بانهُ صار اكبر منتج صناعي في بلاده وغير بلاده بالرغم من المنافسة والمزاحمة التي يلقاها من الشركات الكبرى كالجنرال موترز وغيرها فهو يجري التجارب العديدة في الميادين الواسعة التي اعدَّها لا يضنُّ بوقت او مال ليكون من السابقين يوم تصبح الطيارة المحمولة على اجنحة الهواء افضل واسطة للنقل والانتقال

لست اقصد من ذكر هـذه الامور ان اتغنى بمآثر فورد وثروتهِ وطول باعهِ في الاعمال الخيرية ولكني اريد ان ابيّـن ان الممولين الاميركيين لا ينظرون للحياة كحلم فارغٍ ولا للغنى كواسطة لاجتلاء اسباب اللهو او كمدعاة للبطالة والكسل . بل يعملون حبًّا بالعمل لنفسهِ ولعظمة بلادهم وانهم ادركوا قبل سواهم ان الواجب الانساني يقضي بان لا يستأثر صاحب المال بالارباح التي يجنيها بل ان يخصص جانباً كبيراً منها لتأمين الراحة والهناء للعمال الذين تجمع الثروات الطائلة على ظهورهم وبعرق جبينهم

جريدة نيويورك تيمس

وهذه الحقيقة قد لمستها في مدينة نيويورك بصورة اصغر من معامل فورد ولكنها اوضح . زرت بنايات شركة جريدة النيويورك تيمس واحدثها بناء مؤلف من ثماني عشرة دوراً فوق الارض وثلاث تحتها. يبلغ عدد المشتغلين والمشتغلات في هذه الجريدة ثلاثة آلاف وسبعمائة يتمتعون بكل ما ابتكره العلم الحديث من وسائط الصحة والراحة وسهولة المعيشة والنظافة . الشركة تؤمن حياتهم على نفقتها لحساب ورثتهم وتدفع لهم الرواتب المتناسبة مع مقدرة كل منهم على العمل وتحفـظ لكل حقهُ في المعاش حين يعتزل الخدمة بعد عدد معلوم من السنين ويجد العمال في البناء نفسهِ مكتبة للمطالعة وناديًا يجتمعون فيــهِ للمسامرة واقامة الحفلات ومطعماً يقدم لهم ما يلزم باثمانٍ هي غاية في الاعتدال واذا كان العامل لا يتقاضى اكثر من ستة عشر ريالاً في الاسبوع فلهُ حق بدفتر قسائم يجيز لهُ ان يتناول غداءً يساوي نصف ريال بعشرة سنتات او بعشرين مليماً . وكل المواد الاولية من اجود الاصناف والنظافة شرط جوهري وهناك مستشفى صغير لاسعاف من يصاب باذى بالعلاج . الى ناحية خاصة من هذا

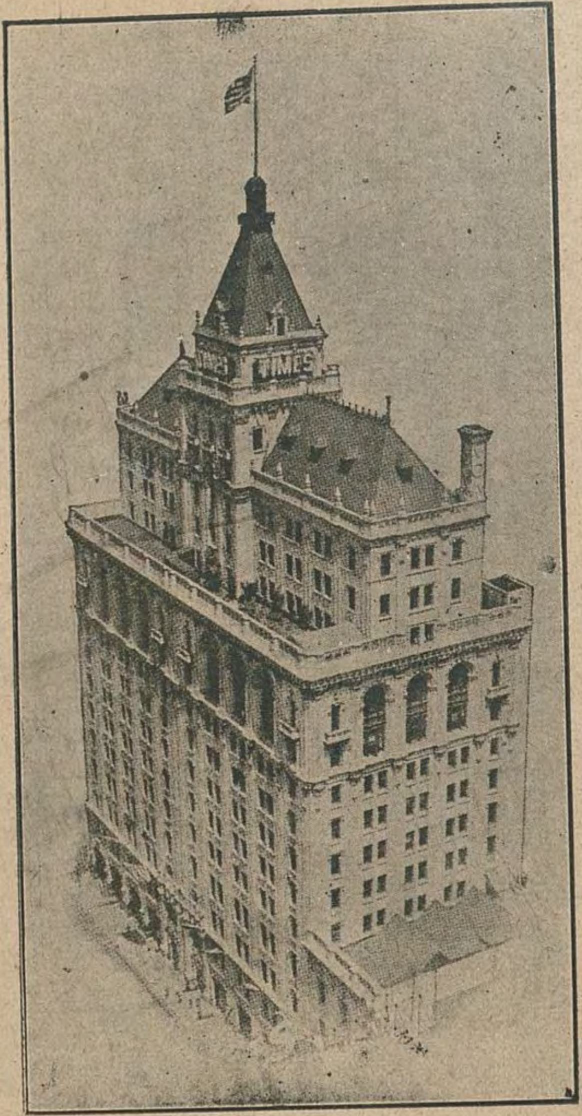


بناية جريدة نيويورك تيمس الجديدة

مقتطف يونيو ١٩٢٨
امام الصفحة ٦٧٠

البناء تتسرب الاخبار العالمية ليلاً نهاراً بالتلغراف السلكي واللاسلكي والتلفون والبريد البري والبحري والجوي . وتوزع على المختصين بكل نوع منها لسبكها في القالب المناسب للنشر. فلا تطلع الشمس الاَّ وترى جريدة النيويورك تيمس ست عشرة صفحة او اكثر من الحجم الكبير والحرف الصغير جداً حاوية كل اخبار العالم توزع بالسيارات والسكك الحديدية والطيارات والبواخر الى اربعة اقطار المسكونة بثمن وقدره سنتان او اربعة مليمات . مررت على كل العمال في الدور المتعددة ورأيت على وجوههم جميعاً علامات الرضى من حالتهم وصرّح لي غير واحدٍ منهم انهُ لن يرضى عنها بديلا . وقد رأيت في كثير من المدن الاميركية صناديق مفتوحة على مفترق الطرق وفيها الجرائد للبيع ولا بائع بجانبها . يأخذ عابر السبيل نسخة ويضع الثمن المحدّد في الصندوق من غير ان يكون عليهِ رقيب غير نفسهِ فادارة الجريدة تعتمد على امانة الجمهور في اداء الحقوق والشعب يثبت انهُ اهل لتلك الثقة

المدارس

زرت من الولايات المتحدة ميشغن واندبانا واوهايو وماين ومستشوستس ونيويورك وبنسلفانيا ونيوجرسي وعرفت بالاختبار ان اجمل بناية في أية بلدة دخلتهـا هي بلا نزاع المدرسة . المرأة والطفل الذي على يدها مقدسان اين كانا لهما عناية البوليس في الشوارع ولهما الافضلية في الجلوس على مقاعد السكك الحديدية والترام وفي الحدائق العمومية . وحيثما مررت بدور التعليم رأيت مكتوباً بالقلم العريض « حمى المدرسة » فالمارّة تسير الهوينا وكذلك سائق السيارة وعربة النقل لئلا يصطدم باحد الاطفال اللاعبين والناس على اختلاف طبقاتهم ينظرون الى هذه المعاهد كمستودع للامانات المقدسة فيجرون عليها الاعانات والهبات بسخاء لا يدرك مداهُ الاَّ الذي يزور تلك المعاهد بنفسهِ . يبتدئ الطفل بالذهاب الى المدرسة وهو في الرابعة من سني حياتهِ فيجد فيها من العناية بجسمهِ وعقلهِ مالا يجدهُ الاَّ عند الوالدة البارّة الشفيقة المستنيرة ويصرف وقتهُ بما يلذ لهُ من تصوير او بناء او نجارة او حفر والمسابقة بين هؤلاءِ الاطفال بالغة حدها تقام لهم الحفلات ويُعرض فيها ما ابتكرتهُ عقولهم الصغيرة وتوزع الجوائز على الفائزين منهم.وقد سمعت ان الاميركين يدرسون مسألة ارسال الاطفال وعمرهم سنتان الى المدرسة ولكنهم لم يبتوا فيها بعد

واذا انتقلت بكم من المدارس الاولية والثانوية الى الجامعات الكبرى فقـد

انتهينا الى اكمل صورة من جلال العلم واحترامهِ والعمل على نشرهِ وجعلهِ في متناول أكبر عدد ممكن من طالبيهِ . الجامعات الاميركية كثيرة ولكن التابعات منها للحكومات المحلية قليلة جدًّا فهي مستقلة بنفسها ترجع في شؤونها الى مجالس ادارتها وفي نفقاتها الى اولئك الافراد الاغنياء الذين يعتزون باوطانهم ويؤمنون بان الامة التي تطلب الرقي من الطريق السوي طريق العلم والعمل لا بد انها بالغة ما تريد. فالى الجامعات يرسلون شبانهم بعشرات الالوف ومنها يأخذون ما تحتاج اليهِ البلاد من رؤوس مفكرة وقلوب مريدة وسواعد شديدة . الجامعة مجموعة دور عامرة وقصور شاهقة تتجاوز في بعض الاحيان السبعين عدًّا آهلة بالطالبين والطالبات للعلم من كل المذاهب ومن كل الطوائف ومن كل الالوان ومن كل بلدان العالم . المورد عذبٌ فهو كثير الزحام . الابواب مفتوحة على مصاريعها والميادين واسعة والنجاح مضمون لكل نابه مثابر . يستحيل عليَّ في موقف كهذا ان اوفي موضوع الجامعات حقهُ من البحث وانما ارى من المفيد ان اذكر لكم شيئاً عن طريقة ابتكرها احد الاميركيين لارسال عدد كبير من اولاد الفقراء الاذكياء الى هذه المعاهد

طريقة مبتكرة لتعليم الفقراء النابغين

الرجل اسمهُ هوراشيوارل عمرهُ خمسة وسبعون عاماً وهو قصير القامة نحيف الجسم يصعب على الناظر الى وجههِ ان يقرأ في ملامحهِ شيئاً من آيات الجمال ولكني استدرك فاقول ان حديثه او حديثاً عن اعماله العظيمة يطرب السامعين . ولد من عائلة فقيرة جدًّا وكان ابوهُ شرس الاخلاق سيئ الطباع عاملهُ بخشونة كانت تصل غالباً الى درجة الارهاق . ترك البيت صغيراً وصار بائعاً للجرائد وتردّد على المدارس الليلية وجد واجتهد حتى توصل بعد جهاد طويل الى تحصيل الدروس العالية . ثم استخدم في احدى الشركات واظهر من المقدرة في انجاح اعمالها ما دعى رؤساءهُ وحملة اسهمها لان يشركوه معهم في ارباحها وهكذا قطع الرجل مرحلة بعد اخرى حتى صار رئيساً لمجالس ادارة خمس شركات كبيرة في الولايات المتحدة ويسمونهُ « ابا الطرقات » لانهُ هو الذي سعى لانشاء الوف الاميال منها في ولاية ميشغن حتى صارت مثالاً يحتذى في سهولة المواصلات . كان اول عهد قطعهُ على نفسهِ بعد ان يسّر الله امره ان يساعد الاولاد البائسين الذين يتوسم فيهم الخير كي يوفر عليهم ما قاساه هو في طفولته من مرارة العيش . وكان حين يقع اختياره على واحد

منهم يأخذ عليه تعهداً مكتوباً على ان يفي دينه حالما يصير قادراً بنفس الطريقة التي استدان بها اي ان يعلّم ولداً فقيراً على نفقتــهِ . دعاني الرجل لزيارتهِ في منزله حيث يلتقي مئات من اعضاء مجالس الشيوخ والنواب والمحامين والكتاب واصحاب الحرف المختلفة والمخترعين والمكتشفين وكلهم من الذين تعلموا بهذه الواسطة وصاروا من العاملين على تعميمها في كل الولايات المتحدة . لم يعد الواحد منهم يعتبر نفسه مديناً لفرد بل للمجموع الذي هو عضوٌ فيهِ . ولم يعد يكتفي بتعليم طفل واحدٍ بل يسعى الى الخير جهده .خُيّـل الي وانا أُصغي الى حديثهِ المعزز بالارقام والتواريخ ان وجههُ صار جميلا وان الرجل القصير القامة صار جبَّاراً يستطيع ان يبني مجد امةٍ بتمامها . فانحنيت امامهُ باحترام وخرجت من عنده طالباً من ربي ان يكثر من امثاله في بلادنا

المرأة الاميركية

اذا كانت المرأة الاميركية لم تصل بعد لان تكون النصف الافضل للرجل بكل معنى الكلمة فهي سائرة سيراً حثيثاً في هذا الطريق. هي اليوم تتبوأ في بلادها مكانة يرتدُّ عنها الطرف وهو كليل. اذا قلت لـكم ان الولايات المتحدة هي الميدان الحقيقي للعمل المتواصل المنتج والمنهك المضني في وقت معاً وان من يقف لحظة يتأخر مرحلة ادركتم بداهة ان شفيع المرأة في ولوجها هذا الميدان ليس حسنها وجمالها وظرفها واعتدالها ولـكنهُ ذكاؤها المتوقد وصبرها العجيب ودقتها في اداء الواجب وحسن تصريفها للامور فهي لا تخوض معركة الاَّ وقد وضعت لها الخطط الحديثة وابتكرت لها المعدات اللازمة وهي ما تراجعت مرة الاَّ تحفزاً للوثوب الى الامام ولولا خوفي على يديها الجميلتين لقلت انها شقّت طريقها بحد السيف . فهي حاضرة في البيت وفي الحقل وفي المعمل وفي الدكان وفي المحكمة وفي مكتب المحامي وفي المصارف المالية وفي الشركات الـكبرى وفي المطاعم والفنادق . وهي التي تحمل علم الجهاد يوم تهدّد الانسانية اخطار الاوبئة والامراض الفتّـاكة ويوم تبتلى بالعجز والشيخوخة ويوم يحلُّ بها الفقر والشقاء . في هذه الازمات لا اقول ان الرجل يراها كخطيئتهِ امامه في كل حين ولـكنهُ يراها كضميره الحيّ ملازمة لهُ لا تنفكُّ تأمرهُ بالمعروف حتى يجود مما لديهِ من نعم الله . ولا تظنوا انها اقل سخاء من الرجل. كلا . بل هي تستجدي وتعطي من مالها وهو عند الاغلبية الساحقة من النساء الاميركيات مكسوبٌ بعرق الجبين

[ التتمة في الجزء التالي ]

نسيم صيبعة

# زلزلة كل ساعة

## كثرة الزلازل

اذا نظرنا الى الزلازل وكيف تحدث فجأة من غير ان يتقدمها نذير ما ، وما تحدثهُ من الخراب والتدمير وتبثّـهُ من الخوف والهلع ،وان مركزها قلب الارض لاسطحها، زال كل عجب من ان العلماء لا يعرفون من امرها سوى الشيء اليسير .فمنذ ستين سنة لم يكن احد قد حاول البحث في الزلازل بحثاً علميًّا منتظماً .ولكن بعض العلماء وفي مقدمتهم الاستاذ مَلِت وضع اساساً لعلم جديد يتناول الزلازل وطبيعتها واسبابها ودعاهُ علم ( السيسمولوجيا )

وارتقاء هذا العلم لم يتأخر لان مواد الدرس نادرة يصعب الحصول عليها بل لصعوبة الموضوع وما تبثهُ الزلازل من الخوف والاضطراب مما يجعل العقل غير قادر على التفكير المنطقي والبحث العلمي الدقيق حين حدوثها .وقد عني من العلماء رجل يدعى الكسيس بوضع كتالوج دوّن فيهِ ذكر الف زلزلة في ثلاثين سنة بين سنة ١٨٤٣ و١٨٧٣ اي كان متوسط ما دونهُ زلزلتين في اليوم فاذا حسبنا ان ثلاثة ارباع سطح الكرة ماء وان جانباً كبيراً من اليابسة يقطنهُ اقوام متوحشون وان كثيراً من الزلازل التي تحدث في البلدان العامرة لا تدوّن لا نكون مبالغين اذا قلنا ان زلزلة قوية او خفيفة تحدث كل ساعة من ساعات النهار والليل في بقعة من بقاع الارض ولكن جسم الانسان لا يحس بها الاَّ بالتي تهزّ الارضَ مقدار جزء من ١٦٠٠ جزء من البوصة وهذه ليست كثيرة الاَّ في المناطق التي تكثر فيها الزلازل

## مظاهر الزلزلة

١ — الصوت : يكون اولاً كصوت اطلاق المدافع تحت الارض وفي بعض الاحيان كصوت دمدمة او اصطدام او طحن

٢ — ويصحب هذا الصوت او يتبعهُ اهتزاز الارض اهتزازاً خفيفاً او موراً عنيفاً وقد يبلغ من عنف حركة الارض ان تتداعى البيوت وتتهدم كانها بنيت من ورق

٣ — واتجاه هذه الحركة يكون اما عموديًّا من اعلى الى اسفل او افقيًّا من جانب الى جانب آخر او جامعاً بين الاثنين فتكون الحركة اما منحرفة او لولبية كما

حدث في بعض الزلازل اذ شاهد الناس بعض المداخن تدور دورة لولبية

٤ — وحركة الارض لا تحدث في كل مكان في الوقت نفسهِ بل تحدث في مركز الزلزلة ثم تنتقل منهُ في كل الجهات كانك ترمي حجراً في راكد من الماء فيحدث امواجاً متتابعة تنتشر الى كل الجهات . هذا المركز يدعى (الابيسنتر) لانهُ فوق مركز الزلزلة ويكون اشد فعلها هناك او على بعد عنهُ يساوي عمقهُ تحت الارض ثم يقل كلما بعدت موجتها عنهُ

## سرعة موجة الزلزلة

وقد وجد العلماء ان سرعة موجة الزلزلة تختلف باختلاف مقاومة الصخر وعمق الابيسنتر . فاذا كان الصخر جلموداً والابيسنتر عميقاً كانت موجة الزلزلة على اشدها فقد تكون سرعتها ١٠ اميال في الدقيقة وقد تبلغ ٢٠ ميلاً او ٢٥ ميلاً او ثلاثين ميلاً في الدقيقة . وقد يكون انتشار موجة الزلزلة في كل الجهات متساوياً في سرعتهِ فتكون الموجة حينئذٍ في شكل دائرة تقريباً وقد تكون اسرع في جهة منها في الاخرى فتكون الموجة اهليليجية

## اسباب الزلازل

اشهر اسباب الزلازل التغيرات المستمرة التي تحدث في الارض فأن قشرة الارض كبيرة ثقيلة وهي مرتكزة الى باطن الارض وهـذا الباطن آخذ في التقلص المستمر بسبب خروج الحرارة منهُ فينتج من ذلك تشقق الصخور وتصدعها واتساع الشقوق القديمة فيها . اي ان طبقات الصخور التي زحلت عن مكانها في الزمان الماضي وهزت الارض بزحلتها تزحل ثانية وتسبب هزة اخرى. ثم ان للثقل يداً في احداث الزلازل فاذا رسبت رواسب كثيرة في قعر البحر في البلدان المعرضة للزلازل ثقلت عليهِ فينصدع ويهزّ الارض ويحدث عكس ذلك في الجبال والنجود التي تجرف الامطارُ جانباً كبيراً منها فانها تخف عما كانت عليهِ وترتفع وقد يكون ارتفاعها هذا متدرجاً وقد يكون دفعة واحدة فتزلزل الارض

وقد كان الرأي الشائع ان الزلازل تحدث من تأثير البراكين ولكن ظهر الآن ان تأثير البراكين في الزلازل قليل جدًّا والغالب ان الزلزلة تسبق ثوران البركان فتكون سبباً لهُ لا نتيجة عنهُ واذا كانت نتيجة عنهُ كان اثرها موضعيًّا . اي ان اسباب ثورانهِ تكون مهيأة وتعوزها حركة شديدة لازالة ما يعوقها عن العمل فتأتي الزلزلة فتزيل

العائق من طريقها. وقد روى الاب تُندورف الجزويتي وهو من اشهر علماءِ الزلازل في اميركا ان عاصفة شديدة هبت في الاوقيانوس الاتلنتيكي على مقربة من شواطئ اميركا فلطمت امواجها القوية حرف القارة الاميركية لطماً متوالياً فزُلزلت الارض ودوّنت آلات رصد الزلازل هذه الهزة ولكن هذا نادر

طغيان البحر

اذا كان مركز الزلزلة في قعر البحر قرب شاطئ فقد تصحب الزلزلة موجة عظيمة تطغو على الشاطئ فتخرب وتدمر ما يعترض سيرها وسبب ذلك ان قعر البحر عند الابيسنتر يرتفع وينخفض مراراً فترتفع مياه البحر فوقهُ وتنخفض فتتولد من ذلك موجة كبيرة قد يبلغ علوها خمسين قدماً تقريباً وطولها مئات من الاميال وتبقى سائرة حتى تلطم الشاطئ فتطغو عليهِ وتخرب كل ما يعترض سبيلها . وقد دعيت موجة كهذهِ خطأً موجة المد والجزر وليس لها ادنى علاقة بالمد والجزر

ومع ان موجة من هذا القبيل تتكون عند مركز الزلزال الاّ انها أبطأ من الزلزلة في سيرها لذلك تصل اليابسة بعدها

امثلة مشهورة على طغيان البحر

١ — في سنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في البرتغال فدمرت مدينة لشبونة وقتلت اربعين الف نفس . وكان مركز الزلزلة تحت قعر البحر على مائة ميل من الشاطئ وبعد ما انقضت نصف ساعة على الزلزلة ساد الهدوء فيها المدينة جاءت امواج عظيمة علوها ستون قدماً وطغت على المدينة فأتمت تدميرها وكان علو هذه الامواج ٦٠ قدماً في لشبونة و٣٠ قدماً في قادس و١٨ قدماً في جزائر مديرا وخمس اقدام على شواطيء ايرلندا

٢ — وحدثت زلزلة في اليابان سنة ١٨٥٤ تبعتها موجة عظيمة علوها ٣٠ قدماً طغت على سيمورا فمحتها من عالم الوجود . وكان مركز الزلزال على مائة ميل من شاطيء اليابان ولكن آثار الموجة البحرية شُعر بها في كاليفورنيا بعد ما عبرت الاقيانوس الباسيفيكي فكان علوها ٨ اقدام فقط في سان فرنسيسكو

٣ — وحدثت زلزلة سنة ١٨٦٨ هزت شاطئ بيرو هزًّا عنيفاً وكان مركزها قريباً فعقبتها بعد خمس دقائق موجة علوها ٦٠ قدماً احدثت تدميراً عظيماً على كل الشاطئ

قبر الغزالي بطوس

بقايا جامع طوس

# حجة الاسلام

## الغزالي

(٤٥٠ — ٥٠٥ هـ) — (١٠٥٨ — ١١١١ م)

﴿ تمهيد ﴾ : لتتبع سير الفلسفة عند اية امة من الامم طريقتان اما ان يذكر النظريات المختلفة وما اعتراها من التغير والتطور ، مستشهداً بابطالها وما لهم فيها من الاثر واما ان تأتي على سيَر هؤلاء الابطال فتجعلهم المراحل التي انتهت اليها الفلسفة في كل طور من اطوار نموها . وهدفك على الحالين دراسة الفلسفة وتتبع مجراها . وقد آثرنا في هذا المقال ان نتبع ثاني الاسلوبين لان الفلسفة في اعتقادنا وليدة الحياة فليس أدلّ على تطورها اذاً من الحياة نفسها ، ولان هذه الطريقة هي المتبعة اليوم على الاكثر وان لم تنكر ان للطريقة الاولى انصارها . فنحن لذلك وان حدثناك عن الغزالي ، فانما نحدثك بالحقيقة عن طور هام من اطوار الفلسفة في الشرق ، وفي عصر اوشك ان يلفظ فيهِ التفكير الحر انفاسهُ الاخيرة

هذا وان المشهور بين المطلعين على الاداب العربية ان الغزالي عالم ديني فحسب . والحقيقة ان الاسلام قد ادمج كل نظم التفكير في نظامه الديني العجيب ، وان الغزالي في دفاعه عن عقيدته وفي جدالهِ مع الفلاسفة أقرب في اساليبهِ الى الفيلسوف المفكر منهُ الى المتدين المستسلم . وقد يظهر لاول وهلة ان في مثل هذا التعميم بشأن الاسلام مبالغة اية مبالغة ولكنهُ اليوم الرأي الذي اجمع عليهِ معظم العلماء المستشرقين . وللعالم الالماني رتر Ritter كلمة ذات شأن بهذا الصدد ، فهو يقول ما معناهُ ان المدارس الفقهية والتفكير الديني في الاسلام يمثلان الفلسفة العربية اكثر مما يمثلها جمهور الفلاسفة اتباع ارسطو كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم . ويقول Boer اعمق من تضلع مِن دراسة الفلسفة الاسلامية بين الغربيين « ان في اتباع الغزالي تلك الطريقة المبتكرة من التصوف والاقتناع الداخلي ، لفلسفة أعمق وايم الحق من فلسفة المقلدين »

والغزالي احد تلك العقول النادرة جدًّا ، التي لا يختنق ابتكارها بكثرة ما تخوض فيهِ من العلوم والمعارف . وهو (على ما دلني اختباري) احد تلك الشخصيات العميقة التي لا يمكن العثور لها على قرار . فقد تقرأ وتقرأ ثم لا تزال تجد انك قاصر على فهم

ناحية واحدة من نواحي هذه النفس الكبيرة . ولا نظن اننا موفقون في بسط هذه الفكرة للقراء الى اجمل وابلغ من المثال الذي ضربهُ الغزالي نفسه في مؤلفه (كيمياء السعادة) حين اراد ان يرمز الى عظمة الوجود وقدرة الله الازلية ، فيرى الفلكيين والاطباء والدهريين انهم مقتصرون في ابحاثهم على ادراك العلل الثانوية وانهُ لا يمكنهم بطريقة من الطرق تعدّيها الى ما يدعونه (السبب الاول او القوة الفعالة) قال : احضر احدهم فيلاً الى قرية كل ساكنيها من العميان . فتجمهر حول هذا الحيوان عدد كبير منهم يريدون معرفة هذا المخلوق العجيب . ثم وضع أحدهم يده على خرطومه فقال انهُ يشبه العمود ، ولمس آخر اذنيه فقال لا بل هو يماثل شراع السفن ، ولكن ثالثاً منهم صاح فقال لا بل هو كالخيمة الكبيرة وكان قد وضع يدهُ على جسمه . فكل واحد من هؤلاء صادق فيما قاله لكنهم لو ادعوا ان الفيل كلّه هو عبارة عما وصفوه لكانوا من الكاذبين

ونحن حين نحاول ان نكتب عن الغزالي لنلم بجميع أطواره النفسية واختباراته العقلية ، يتملكنا نفس هذا الشعور . وقد يكفيك تمثلنا بهذه الخرافة لترى اننا ونحن نباشر الكتابة شاعرون بعجزنا وتقصيرنا عن ان نقدم لك الغزالي شخصية حية كاملة لم تتحجر بفعل الاقلام على الاوراق !!!

﴿ العصر الذي نشأ فيه ﴾ : كان القرن الحادي عشر الذي وجد فيه الغزالي من أظلم العصور في تاريخ الاسلام . فقد ضعفت الخلافة في ذلك العهد ، وكثر الدعاة ، فتكالب الزعماء على السلطة واورثوا الشرق على الاثر فوضى لا فوضى بعدها . وزاد في فوضى الحياة المادية اضطراب في الافكار وبلبلة بالمشارب والمعتقدات . لان المسلمين كانوا قد انقسموا بعد ان ضعفت شوكة الاسلام الى احزاب وشيع كل يدعو الى فريقه ومعتقده

وقد ادرك الغرب هذا التضعضع الذي كان قد اصاب الشرق آنئذٍ فرأى الفرصة سانحة لينقضّ عليه ويشتبك معهُ في سلسلة من الحروب — الحملات الصليبية — يقال انها دينية والحقيقة انها كانت فوق ذلك سياسية واجتماعية ترتكز الى ما كان سائداً في الشرق والغرب من الاحوال في تلك الآونة العصيبة

فمن شيعة يدعون الناس للايمان بامام مستتر ، الى معتزلة يرفضون سلطة السلف ويتكلون على سلطة العقل المجرد ، الى اسماعيلية ينقمون على كل نظام ثابت ويعملون

على تقويضهِ . وعلى رأس هذه العوامل الهدامة جمهور المتفلسفة يبثون في الناس التعاليم الفجة التي لم تتهيأ لها عقولهم ، فتنسخ ايمانهم ثم هي لا تملأ هذا الفراغ بشيء يذكر ، وكل ما لها من الاثر ان تحمل العامة على الشك والاضطراب

ثم يجب الا ننسى بعد هذا كله ، ان الروح السائدة في تلك الفترة من الزمن ، هي روح القرون الوسطى وان الاحوال احوالها والشعور شعورها ، بكل ما يميز تلك الروح من ميل الى اليأس والتشاؤم ، وتلك الاحوال من الاضطراب والفوضى ، وذلك الشعور من ميل للحياة الاخرى والتفكير في وقوعها . وكل هذه عوامل ومؤثرات يجدر الا تغيب عن الذهن ابداً حين نبدأ بتحليل شخصية الغزالي ودرس تطور شخصيتهِ وآرائهِ . وهي امور يجب اذا نحن اردنا الانصاف ان نأخذ لها العدة ، حين نحكم على الغزالي او نقابلهُ بغيرهِ من الفلاسفة اللاحقين ، لان النفس البشرية مهما سمت وتجردت فلا بد ان يعلق بها من محيطها وزمانها الشيء الكثير

اما ثقافة العصر العامة فقد كانت في مستوى علمي عال ، رغم ما وصفناهُ من الاضطراب في الحالتين السياسية والاجتماعية . وذلك لاسباب يطول البحث فيها فنقتصر منها على سببين . الاول تأييد الامراء واصحاب النفوذ للعلماء والمفكرين او على الاصح استخدام هؤلاءِ لاغراضهم الخاصة فيؤيدون سلطتهم ويعززون سياستهم . ومع ان العلماء كانوا وسيلة بل العوبة ليس الاَّ كما ترى ، فان العلم استفاد كثيراً من هذا التأييد ورعاية اولي الامر لهُ في ظروف واحوال كان يضطر فيها المفكرون لولا تلك الرعاية ان يخضعوا للرأي العام وحكم الاكثرية فيهبط الفكر الى الدرك الاسفل . واما السبب الثاني فمعنوي يصعب توضيحهُ وهو الميل الذي يعتري بعض النفوس الطامحة المفكرة لتسمو من حضيض الحياة المادية بما فيها من النزاع والاضطراب الى حالة نفسية هادئة تخيم عليها طمأنينة فلسفية عميقة . ففي نفس الوقت الذي كان فيهِ الصليبيون في الغرب يتأهبون لشن الغارة على المشرق ، كان الغزالي يعدُّ نفسهُ لان يكون بطل الاسلام الروحي

هذا وصف موجز للمسرح الذي نشط الغزالي لتمثيل دورهِ عليهِ . وقد كان من عصرهِ حقاً بمثابة البطل من الرواية فهو رمز لعصرهِ ، ومعلم لتطور الفلسفة مدى قرون ، بل هو بنفسهِ فصل من فصول الفلسفة الاسلامية حتى ليمكننا من اجل كل ما اسلفنا ان ندعو العصر الذي عاش فيهِ بحق وبدون ادنى مبالغة (عصر الغزالي) .

﴿ حياتهُ وعقليتهُ ﴾ : لقد تمكنا حين بحثنا عن ابن خلدون في عدد سابق من هذه المجلة ، ان نعالج سيرتهُ تحت عنوانين منفصلين فبحثنا اولاً في حياتهِ ، ثم تدرجنا الى البحث في عقليتهِ على حدة . غير ان ذلك مما لا سبيل اليهِ في البحث عن الغزالي وذلك لانهُ شيد عقيدتهُ وآراءهُ على قاعدة الحياة ، وما اختبرهُ فيها من التجارب ، ولم يفرق مطلقاً بين ما يعتقدهُ وما يعمل بهِ اي بين الحياة المادية التي كان يعيشها ، وماكان يبدعهُ دماغهُ من المذاهب الروحية والعقلية

واقوى ما نستند عليهِ في كتابة هذا الفصل مؤلف صغير بل رسالة تركها الغزالي بمثابة ( اعترافات ) فكانت لنا عوناً على حل هذه النفسية الحافلة. والرسالة هذه بعنوان ( المنقذ من الضلال ) شرح فيها كل ما انتابهُ من الشكوك الروحية والتجارب العقلية . وهي فريدة في الاداب العربية ليس فقط لجمال اسلوبها ، بل للبراعة التحليلية فيها والاخلاص المترقرق بين سطورها . وهذه الامور الثلاثة هي في نظرنا اهم ما تمتاز بهِ كتابات الغزالي بوجه الاجمال . « فالمنقذ » كان يكون اول بذرة صالحة في علم تحليل النفس او ما يسمونهُ Psycho-analysis

ولد الغزالي على الارجح في قرية الغزالة بجوار طوس من خراسان عام ٤٥٠ ، وتوفي والدهُ وهو لا يزال صغيراً بعد ما اوصى بهِ وباخيهِ صديقاً لهُ صوفيًّا وحثّهُ على تعليمهما . فدرس اولاً مبادىء القراءة والكتابة في قريتهِ ، ثم انتقل الى طوس ليدرس الفقه والحديث على الرذكاني ، ورحل بعد ذلك الى جرجان حيث تتلمذ لابي نصر الاسماعيلي . غير ان عهد تلمذتهِ الحقيقي يبتدئ في المدرسة النظامية بنيسابور تحت اشراف امام الحرمين الجويني . وقد اظهر هنا ذكاءً واجتهاداً فائقين حتى ان الامام كان يتكل عليهِ في التدريس بدلاً منهُ

ولكن الغزالي كان قد اظهر التردد منذ اوائل حياته ، ومع انهُ كان في وسط صوفي محض فقد شك في معتقدهِ ، الاَّ انهُ بقي كاتماً سرَّ نفسهِ الى ان توفي استاذهُ الاكبر سنة ٤٧٨ فبرح طوس الى بغداد وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وكان فيها يومئذٍ نظام الملك وزير الب ارسلان السلجوقي ، وقد اشتهر برعاية العلماء والميل لمعاشرتهم فاختبرهُ مدة ولم يلبث ان وثق بمقدرتهِ وسعة علمهِ فجعلهُ اولاً من فقهائهِ ثم ولاهُ رآسة الجامعة النظامية في بغداد .ودرس الغزالي هناك مدة ذاعت فيها شهرتهُ اضعاف ماكانت عليهِ من قبل

ولكن يظهر ان ابحاثهُ الفلسفية في المدرسة النظامية، واحتكاكهُ باصحاب المذاهب الفكرية المختلفة الذين كانوا يجتمعون ببغداد، ثم ميلهُ الفطري الى البحث والمجادلة والتنقيب، كل هذه العوامل اهابت بهِ الى الشك المطلق ليس فقط في امر التقليد الديني بل اصبح يتردّد في صحة العلم عينهِ. وعلى ذلك فقد اخذ بعد مقتل نظام الملك سنة ٤٨٥ يدرس كل الآراء الفلسفية الشائعة علها ترد اليهِ ايمانهُ. وقضى في ذلك ثلاث سنين لم يظفر منها بطائلة

يقول الغزالي ان دواعي شكهِ كانت كثيرة، فمنها انهُ كان يلاحظ ان الطفل ينشأ اما مسلماً او مسيحيًّا او يهوديًّا ليس لانهُ اختار ما ارادهُ لنفسهِ من هذه الاديان بل لان ابويهِ يجعلانهِ كذلك، وفي ذلك حديث للنبي مشهور. فبعث ذلك الشك في عقيدتهِ وصار لا يقيم وزناً لغير اليقين الثابت في مثل قولك العشرة اكثر من الثلاثة. ولكن هنا يصدمه الشك ثانية فاليقين مبني على الحسّ والحسّ لا يصدق دائماً، فانك مثلاً ترى الظل ثابتاً بينما هو في الحقيقة متحرك. وعلى ذلك تبطل ثقته بالمرئيات فيركن الى العقليات. ولكن كيف يأمن مغبتها وقد وثق اولاً بالمرئيات فخانته؟! ألا يمكن ان تكون فوق العقل حالة هي بالنسبة اليهِ بمثابة اليقظة من النوم؟! اننا نرى الاشياء في منامنا كأنها واقعية فاذا جاءت اليقظة لم نصدق بها لان العقل ينكرها. فهلا يمكن ان تكون الاشياء التي نعتقد بانها معقولة في حياتنا هذه، هي بدورها ايضاً باطلة بالنسبة للحياة الاخرى؟!

هذا ما انتهى اليهِ الغزالي في تفكيرهِ الدائري فقد بدأت شكوكه في نقطة معينة من الدائرة وما زال في كفاحهِ وجهادهِ الداخلي حتى انتهى الى تلك النقطة عينها. وليتهُ مع ذلك اطمأن الى اساس علمي ثابت يركن اليهِ العقل

كان الغزالي حينئذٍ قد جاوز من عمرهِ الخامسة والاربعين ورأى ان لا فائدة تجنى من وراء الشك والتنقيب فمالت نفسه المتعبة الى الطمأنينة التي كان قد فقدها منذ سنين وهاك ما يقولهُ هو عن نفسه وفي ذلك خير مثال لاسلوبه الرائع وكان قد حصل لهُ من «العلوم التي مارستها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، وباليوم الآخر. فهذه الفصول الثلاثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل باسباب وقرائن وتجاريب

لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها . وكان قد ظهر عندي ان لا مطمح لي في سعادة الآخرة الاَّ بالتقوى وكف النفس عن الهوى . . . . . . . . ثم لاحظت احوالي فاذا انا منغمس في العلائق . . . . ولاحظت اعمالي واحسنها التدريس والتعليم فاذا انا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة . ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقّنت اني على شفا جرف هار » [١]

ولذلك برح الغزالي بغداد تحت ستار الحج سنة ٤٨٨ واستخلف مكانه للتدريس اخاهُ احمد ، وكانت الغاية الحقيقية كما رأيت من كلامهِ العزلة والتنسك ، وطلب الآخرة . وبقي يتنقل شأن النساك الزاهدين احدى عشرة سنة ابتلى في اثنائها كل ما في التصوف من مبادىء وتعاليم ومكاشفات ، واصبح لفرط الاخلاص يصف اخوانه المتصوفة فيقول : هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم احسن السير وطريقهم اصوب الطرق واخلاقهم ازكى الاخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم واخلاقهم ويبدلوهُ بما هو خير منهُ لم يجدوا اليهِ سبيلاً » . وقد قضى معظم هذه المدة في سورية وفلسطين فاعتزل في مأذنة الجامع الاموي بالشام واقام في جامع الصخرة بالقدس زمناً كتب فيهِ (الرسالة القدسية) وما برحها الاَّ قبيل دخول الصليبيين اليها عام ٤٩٢ . وقد زار مقام ابراهيم الخليل بحبرونَ وتوجه اخيراً الى مكة في طلب الحج . ولكن ما أزف القرن الخامس بالانصرام حتى عاد الاضطراب الى نفس الغزالي الثائرة وحنَّ الى الاهل والاوطان ،وشعر بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهِ في اصلاح ما اختل من الدين واخيراً اضطرهُ السلطان ملك شاه ان يعود الى التدريس في نيسابور بعد ان كان قد خيّب رجاء اكثر أصدقائهِ في هذا الشأن ، وكان رجوعهُ عام ٤٩٩ . وهاك ما يقولهُ هو بنفسهِ « فلما رأيت اصناف الخلق قد ضعفت ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ، ورأيت نفسي مليّة بكشف هذه الشبهة حتى كان افضاح هؤلاء أيسر عندي من جرعة ماء لكثرة خوضي في علومهم اعني الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمترسمين من العلماء . انقدح في نفسي ان ذلك متعين في هذا الوقت محتوم فماذا تغنيك الخلوة

(١) راجع المنقذ من الضلال لابي حامد الغزالي طبعة مصر ص ٤٢ و ٦١

والعزلة وقد عم الداء ومرض الاطباء . . . . . ويسّر الله تعالى الحركة الى نيسابور للقيام بهذا المهم سنة ٤٩٩ »

وقضى في نيسابور مدرساً ثلاث سنوات اضطر في نهايتها على ما يقال من اجل بعض الخلافات التي نشأت بينهُ وبين بعض العلماء ان يلتجئ الى طوس البلدة التي قضى فيها ايام صباهُ . وهناك اعتزل عن العالم واعتكف على درس الحديث . وقداسس خانقاه لرفاقهِ من الصوفيين واصبح يعلم عدداً من التلاميذ الذين كانوا يتوافدون اليهِ من الاقطار المجاورة على عادتهم في طلب العلم . ويقول عبد الغافر احد المترجمين لهُ ومن اقدمهم تاريخاً ان سيرتهُ تغيرت بالكلية في تلك الفترة إذ اصبح متسامحاً وضيعاً بعد ان كان ميّالاً الى الجدل والمناظرة مع الاتراب متكبراً عليهم

ولابن تيمية ( ولد سنة ٦٦١ ) قول بشأن الغزالي لا يخلو من غرابة اذ يقول « ولهاذا تبيَّن لهُ في آخر عمرهِ ان طريق الصوفية لا تحصل مقصودهُ فطلب الهدى من طريق الآثار النبوية ، واخذ يشتغل بالبخاري ومسلم ومات في اثناء ذلك على احسن احوالهِ وكان كارهاً ما وقع في كتبهِ من نحو هذه الامور مما انكرهُ الناس عليهِ » الاّ اننا نردّ هذا القول ولو قبلهُ الدكتور زكي مبارك ليس لانهُ معاكس لكل ما اطلعنا عليهِ بشأن الغزالي واخلاصهِ للصوفية حتى موتهُ فحسب بل لانهُ لا يعقل ان يكون الغزالي قد اقلع عن الصوفية في وقت كان فيهِ يبث مبادئها بين حلقات تلاميذهِ وينشئ لاتباعها خانقاه يجتمعون بها كما رأيت . وما زال الغزالي في مثل هذا الصلاح والتقوى والاعتزال الى ان توفاهُ الله عام ٥٠٥ هـ

لكن الخلف من المسلمين الذين احلوا هذه الشخصية مكانة تقرب من التقديس لم يكتفوا بهذا القدر من الاخبار التاريخية الصادقة ، ولذلك ترى الكثيرين من الكتاب قد اذكوا الخيال فاضافوا اليها من العجائب والكرامات اشكالاً وانواعاً . ومن حسن الحظ اننا نستطيع اليوم نقدها وتمحيصها لان الاغلاط التاريخية فيها جلية ، وتناقض الوقائع ظاهر بيّن

وعلى كل فما هذا سوى موجز لحياة الغزالي الحافلة نقتصر عليهِ ، لننتقل منهُ الى البحث عن آراء المستشرقين فيهِ في الجزء القادم ، ونرى هل كان لهُ ضلع في الفلسفة بمعناها المشهور

القدس شكري مهتدي

ب . ع

# باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

## ذكرى قاسم امين

### ونهضة المرأة المصرية — ذكريات تاريخية

احتفل في الرابع من شهر مايو الماضي بمرور عشرين سنة على وفاة المرحوم قاسم امين مؤلف كتابي « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » . احتفلوا بذكراهُ محرراً للمرأة . ولو انهم ابقوا هذا الاحتفال الى السنة القادمة لكان امامهم تذكار مجيد هو مرور ثلاثين سنة على ظهور فكرة قاسم امين في كتابهِ الاول « تحرير المرأة »

ففي سنة ١٨٩٩ نشر الشاب الاديب محمد علي كامل صاحب مكتبة الترقي ومطبعتها كتاب « تحرير المرأة » وصدَّرهُ بالمقدمة الآتية :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . و بعد فان البحث فيما عليهِ نساؤنا الآن من صفات واخلاق وعوائد وما يجب ان يكنَّ عليهِ من ذلك هو من اوجب الواجبات على كل من يحس حقيقة بالفرق بين العائلة عندنا وعند غيرنا او بالفرق بين العدم والوجود ويود ان يكون عضواً من جسم امة تحيا لانها تعمل عمل الاحياء وترتقي لانها تفعل فعل المرتقين

« ولو كانت معرفة اسباب تهدُّم بناء عائلتنا — او امتنا — والوقوف على طرق اعادته بناءً عالياً ثابتاً مما يتعين على ذلك العضو الذي يجب ان يكون في بلادهِ انساناً حيًّا راقياً فاطلاعهُ على ( تحرير المرأة ) الذي انشرهُ اليوم يفي ولا شك بجل حاجتهِ»

#### من سبق قاسما بالدعوة ؟

احدث كتاب «تحرير المرأة» ثورة . وكان الغاضبون الناقدون اضعاف الراضين

المحبذين . وناصر المرحوم فرح انطون صاحب مجلة « الجامعة » مؤلفهُ وقال انهُ جدير بان يلقب « لوثيروس الشرق » . وكان صاحب العزة محمد طلعت بك حرب في طليعة محاربي قاسم امين والمزيفين اراءهُ وعلى الاخص في مسألة السفور . ووضع في ذلك كتابين اولهما « تربية المرأة والحجاب » ردًّا على « تحرير المرأة » وثانيهما « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » ردًّا على « المرأة الجديدة »

وفي مقدمة الكتاب الثاني رد على ما وصف بهِ صاحب الجامعة قاسماً فقال :

« . . . . ولقد لقب آخر من أولئك المتصدرين حضرة صاحب « المرأة الجديدة » بانهُ لوثير الشرق . ولو كان عند هذا الكاتب اطلاع على ان في رجال الدين الاسلامي من قام بدفع الخرافات الدخيلة فيهِ كالامام ابن تيمية والغزالي وغيرهما لا نتحل له اسم احدهم

« على انهُ لو كان كل من جاهر اولا من بين المصريين بشقاء المرأة في الشرق وطالب بتحريرها يستحق هذا اللقب لوجد من هو احق بهِ واجدر من صاحب المرأة الجديدة وهو حضرة مرقص افندي فهمي المحامي فانهُ وضع في سنة ١٨٩٤ — اي في الوقت الذي كان حضرة صاحب المرأة الجديدة يرى فيهِ رأينا ويدافع عن آداب المرأة المسلمة وحجابها وعن المدنية الاسلامية — كتاباً في قالب رواية اسمهُ « المرأة في الشرق » ذكر فيهِ كل ما جاء بكتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » بل زاد عليهِ انهُ طلب — فوق رفع الحجاب والاختلاط وحجر الزواج باكثر من واحدة وجعل حق الطلاق من حقوق الزوجين وحصر اسبابهِ ووجوب طلبهِ من سلطة القضاء التي يجب ان تكون واحدة بالنسبة لجميع الوطنيين — الترخيص بحل الزواج بين المسلمين والاقباط فيجوز لقبطي ان يتزوج مسلمة كما اباح الشرع عكسه حتى يمتنع التعصب وينتفي النفور المستحكم بين الجهتين [١] وتتم المدنية والحضارة (حسب زعمهِ)

« فاذا كان من يطالب بالتحرير ورفع الحجاب والاختلاط فقط يلقب بلوثير الشرق فأحرِ بمن يطلب ذلك وزيادة عليهِ مزج الدمين المسلم والقبطي ان يكون « لوثير » مرتين او اكثر !!

« وانهُ ان كان ذلك الكتاب لم يؤثر التأثير الذي اثرهُ كتابا « تحرير المرأة »

(١) صفحة ١٦٦ وما يليها من رواية المرأة في الشرق

و« المرأة الجديدة » ولم تقم من اجلهِ الدنيا وتقعد ولم يهتم بهِ الكتّاب فما ذلك الا لزيادة حرية ضمير حضرة مؤلفهِ وحرية افكارهِ فانهُ بسط فكرهُ وما يراهُ صالحاً ولم يدّع انهُ يدعو اليهِ باسم الدين بل قال : ان ظروف الاحوال تقضي بهِ وان لي من تهاون الحكومة بامور الدين اقوى مساعد على طلب ذلك مع اعترافهِ بمخالفتهِ للشرع »

نازلي هانم وقاسم امين

وقد ذكر اسم قاسم امين يوم الاحتفال بذكراهُ مقروناً باسم نازلي هانم وهي الاميرة الملكية من سلالة محمد علي . واول اميرة شرقية بل اول امرأة مستنيرة في الشرق الادنى القت الحجاب جانباً . ولم تكتف بالإسفار . بل فتحت صالونها لاستقبال خيرة اهل العلم والادب . فكانت رِداه سرايها خلف سراي عابدين لنحو اربعين سنة خلت ملتقى الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني وسعد زغلول ومصطفى فهمي وحسين رشدي والامير حيدر فاضل وعبد الكريم سلمان والشيخ علي يوسف وغيرهم من أئمة هاتيك الايام واصحاب الرأي الاول في تدبير الشؤون السياسية والاصلاح الاجتماعي

وفي صالون الاميرة نازلى تم الاتفاق على زواج سعد زغلول باشا بصفية هانم كريمة مصطفى باشا فهمي

ووصف المسيو جرفيل في كتابه « مصر الحديثة » صالون الاميرة . فقال انهُ لصالون مفرد في هذه البلاد بل في الشرق الاسلامي عامة . ففيهِ يلتقي نخبة اهل الطبقة العالية من رجال مصر يتباحثون في شؤونهم العامة . وقد قضيت مع صاحبتهِ ساعتين بهجتين لا انساهما مدى العمر

قال : وبعد ان تناولنا القهوة المعطّرة . تنقلنا في احاديث مختلفة وسألتني الاميرة عن رحلتي في اليابان . فوجدتها أعلم مني بحال هذه البلاد الشرقية السحيقة . فلما ذكرت اسم اوياما ، تنهدت الاميرة وقالت من لنا بمثل هذا الرجل ينهض ببلادنا من الهوة السحيقة الملقاة فيها ويبث في افئدة شباننا روح النخوة والشجاعة والاقدام

ثم جرى الحديث في الشؤون السياسية فابدت رأيها بان البلاد (وكان ذلك في ١٩٠٤ ) ليست مستعدة لان تحكم نفسها

قال : ولعبت وعزفت الاميرة على البيانو بعض الادوار الفنية . وقالت انها تتمنى ان يكون في كل بيت بيانو لترقية الشعور والاحساس

في صالون هذه السيدة الجليلة وضع اساس كتاب تحرير المرأة . وتفصيل الخبر

ان الدوق داركور وضع كتاباً باللغة الفرنسوية في سنة ١٨٩٢ عنوانهُ « المصريون » فردَّ عليهِ قاسم امين بكتاب فرنسوي كان موضع اهتمام اهل الطبقة العالية من المصريين وفي طليعتهم الاميرة نازلي هانم . وقضى اهل الصالون الليالي الطوال ولا حديث لهم الاَّ داركور والرد على داركور وما في الكتاب من امور عامة وخاصة ومنها مسألة المرأة الى ان تم الاتفاق على وضع كتاب « تحرير المرأة » وقد لعبت فيهِ اقلام المرحومين الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان وسعد زغلول

وانحاز الخديو عباس الى جانب المقاومين قاسماً وكتابه . ولكن المرحوم مصطفى فهمي باشا — وكان حينذاك رئيساً للوزارة — اعلن رأيه على صفحات الجرائد مؤيداً رأيه مثنياً على ما جاء في كتاب تحرير المرأة من وجوب تعليم البنات ورفع الحجاب . وقبل المرحوم سعد زغلول — وكان مستشاراً في محكمة الاستئناف — اهداء كتاب « المرأة الجديدة » اليهِ وتتويجه باسمهِ

بعد عشرين سنة

توفي المرحوم قاسم امين مساء يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٠٨ . وكان قد القى قبل وفاته بثلاث ساعات خطبة تمنى فيها ان تشترك النساء المصريات في حضور الجلسات الادبية الى جانب الرجال لسماع المحاضرات العلمية والفنية

فبعد ان جاهد عشر سنوات وكافح خصومه . وبعد عشرين اخرى مرت على وفاته رأينا تباشير نجاح الفكرة واندحار مقاوميها . رأينا السيدة الجليلة صفية هانم زغلول فرحة مغتبطة بتحقق امنية ابيها وزوجها فخورة بما كان للرجلين من اثر في تحرير النساء من ربقة الجهل

ورأينا السيدة هدى هانم شعراوي رئيسة جمعية الاتحاد النسائي لم تكتف برفع الحجاب والاشتراك في الحفلات والقاء الخطب والمحاضرات ونصيراتها من السيدات النبيلات . بل وجدناهن يعملن بهمة واخلاص على رفع شأن المرأة المصرية وتعليمها كل ما يرقيها ويحفظ نسلها سليماً

ورأينا الاستاذ محمد طلعت حرب خصم قاسم امين الاول ونصير الحجابيين يسمح بظهور بنات المسلمين على المسرح ممثلات ومغنيات وراقصات . ويقول في حديث لهُ مع الآنسة « مي » انهُ لا يرى مانعاً في قبول البنات للعمل في البنوك ومكاتب الاشغال

وعشرون سنة ليست بالزمن الطويل في حياة الامم والشعوب . والتغيير في العادات والاخلاق والآراء ليس زرعاً يغرس اليوم وينبت في الغد . فليعمل انصار المرأة ومحرروها والزمن كفيل بتحقيق الآمال «سفوري»

---

## فرشاة الاسنان

### العناية بها حتى لا تكون خطراً على الصحة

صحة الفم مرتبطة كل الارتباط بفرشاة الاسنان لانها تستعمل وسيلة لتنظيف الاسنان وتقوية اللثة .فاذا احسن استعمالها قللت تعرض الاسنان للاصابة بالحفر والنخر ومنعت الامراض التي قد تصيب اللثة واعادت صحة بعض اللثات المصابة

ومع ان الاطباء ورجال الصحة العامة نبهوا الجماهير بمقالاتهم وخطبهم الى وجوب العناية بنظافة اسنانهم نراهم قد اهملوا التنبيه الى وجوب العناية بنظافة الفرشاة المستعملة لتنظيف الاسنان

فالفرشاة التي لم تنل نصيباً كافياً من عناية صاحبها بنظافتها وحفظها لا تحقق الغاية التي تستعمل لتحقيقها — تنظيف الاسنان وتقوية اللثة — وقد تنقلب فائدتها ضرراً . وعليهِ رأينا ان نقتبس من مجلة هيجيا الصحية القواعد التالية للعناية بفرش الاسنان فتطول مدة استعمالها وتمنع الآفات التي قد تتطرق الى الفم ومنهُ الى الجسم بواسطتها

لدى شراءِ فرشاة اسنان جديدة يجب وضعها في محلول قوي من ملح الطعام مدة ساعتين قبل استعمالها فينظف شعرها وتفقد قساوتها وتكتسب مرونة لا بدَّ منها لتنظيف الاسنان وعدم جرح اللثة

اما القول بوجوب اغلائها قبل استعمالها فخطأٌ . لان الاغلاء يفقد شعر الفرشاة ما فيهِ من الليونة والمرونة. واذا كانت قبضتها من السلولويد تغير شكلها فاذا كانت قد صنعت على شكل خاص حتى يسهل تنظيف كلّ الاسنان بها اعوجّت والتوت وصار يصعب استعمالها واذا كانت الفرشاة من عظمٍ ذاب السمنت الذي يربط شعر الفرشاة بالسلك الدقيق الذي في مقدمها. يضاف الى ذلك ان كل فرشاة تعقم قبلما ترسل من المعمل الى السوق بوضعها يوماً كاملاً في بخار الفورملدهيد وكل مرتبة من مراتب عمل فرش الاسنان مبني على مبدإ اساسي وهو الاحتفاظ بمرونة الشعر فيجب ان لا نزيل هذه الصفة اللازمة لتنظيف الاسنان باغلاء الفرش قبل استعمالها

وقبيل استعمال الفرشاة كل يوم يجب ان ترطب بماء بارد لان استعمال الماء السخن يجعلها رخوة كثيرة الليونة . فلا يفيد استعمالها شيئاً

وبعد استعمالها يجب ان تنظف بماء بارد قوي الاندفاع من حنفية . والظاهر ان كثيرين يعتقدون ان الفرشاة يجب ان تنظف بماء سخن لتعقيمها بعد استعمالها وهذا خطأ ايضاً لان الفرشاة لا تعقم الا اذا كان الماء على درجة الغليان ويندر ان يكون الماء الذي يجري من حنفية على درجة الغليان

وبعد تنظيف الفرشاة بالماء يجب ان تجفف بنفض الماء منها واذا وضعت في كأس من الزجاج بعد ذلك فيجب ان يكون رأسها متجهاً الى فوق حتى تجف ويجب الا توضع في صندوقها الصغير لانها لا تجف كذلك فيهرأ شعرها وتصبح مرتعاً للمكروبات

يجب ان تبقى الفرشاة ٢٤ ساعة من غير استعمال لانهُ يلزم لها هذه المدة حتى تجف وعليهِ يجب على كل انسان ان يكون عندهُ فرشاتان يتداول استعمالها الاولى كل صباح والثانية كل مساء اذ لا يخفى ان تنظيف الاسنان قبل النوم من اهم قواعد صحة الفم

ومتى استعملت الفرشاة علق بها بعض المكروبات من الفم وهذه المكروبات تعلق بين شعر الفرشاة ولا تستطاع ازالتها كلها بالغسل ولذلك اشار بعضهم الى ان الفرشاة مصدر خطر كبير على الصحة بدلاً من ان تكون معواناً لها

على ان المكروبات التي تكون عادة في الفم تحتاج في تكاثرها الى بيئة رطبة دافئة مظلمة فيها شيءٌ من المواد التي تستطيع ان تغتذي بها . فحين تخرج الفرشاة من الفم بعد تنظيفه تكون قد علق بها مكروبات تحتاج الى مثل هذه البيئة حتى تتكاثر فاذا فسح المجال للفرشاة حتى تجف كل الجفاف ماتت المكروبات التي تحتاج الى الرطوبة لكي تتكاثر. ولما كانت غرفة الحمام عادة غير مظلمة ولا توجد فيها المواد التي تطلبها المكروبات للغذاء فالمرجح ان كل المكروبات التي تعلق بالفرشاة تموت لعدم وجودها في بيئة توافقها . وقد ثبت بتجارب علمية دقيقة ان ٩٩ في المائة من المكروبات التي تعلق بالفرشاة تموت لذلك

اما الذي يعلق بالفرشاة من تعريضها في غرفة الحمام فليس اشد ضرراً من الغبار الذي نتنفسهُ كل دقيقة من حياتنا

ويجب الاَّ تستعمل الفرشاة اكثر من اربعة اشهر فمن يستعمل فرشاتين عليهِ ان يغير واحدة منهما كل شهرين

# باب الزراعة والاقتصاد

## الجراد واهلاكهُ

الجراد حيوان معروف ينتاب هذه الديار والديار الشامية وكثيراً من البلدان المجاورة كالجزائر وتونس وقبرص وبر الاناضول . ومن الغريب ان تردده على الديار المصرية قليل ووطأته عليها غير شديدة ومع ذلك لا يؤمن جانبهُ. وقد وردت جيوشهُ الجرَّارة على هذا القطر في اوائل الشهر الماضي فنزل بعضها فيهِ في جهات مختلفة كما ثبت من اخبار مكاتبينا ومن الاخبار التي وردت على الحكومة وثبت ان بعض الجراد الذي نزل رزَّ (١) في الارض ولذلك طُلب الينا ان نثبت ما نعلمهُ من طرق اهلاكهِ فنقول

لم تبقَ شبهة في ان الجراد وقع في اماكن كثيرة ورزَّ في بعضها ولو كان ذلك قليلاً . وستظهر صغارهُ وتلتهم ما تراهُ امامها من كل خضراء وغضراء وتتقلب على اطوار شتَّى الى ان تكبر وتصير كاماتها فتطير وتغادر البلاد او تتزاوج وترز في الارض ثانية . ذلك كلهُ اذا لم يتلافَ امر الجراد من الآن

اما طرق تلافيهِ بعد ان يبيض في الارض فهي : —

اولاً ان يُفتَّش عن الاماكن التي باض فيها . وهي تُعلَم من وجودهِ ميتاً عليها لان الجرادة اذا باضت في الارض ماتت في المكان الذي باضت فيهِ. والغالب ان ذنبها يبقى عالقاً في الارض ما لم تقذفها الرياح عنهُ وتُعلَم هذه الاماكن ايضاً من وجود قليل من الرغوة عليها وهي مما تفرزهُ الجرادة تسهيلاً للرز في الارض . والبيض هنات صغيرة كحبوب الكمون منتظمة بعضها مع بعض كسنبلة الشعير ويقال لمجتمعها سَروة وطول السروءِ من اربعة سنتيمترات الى خمسة . والغالب ان الجراد يبيض مجتمعاً بعضهُ مع بعض فاذا وُجد بيض جرادة في الارض غلب على الظن انهُ يوجد بقربهِ كثير . وحينئذٍ تروى الارض ليبتل البيض ويفسد او يحرث او تركس لكي يظهر البيض ويتعرَّض للشمس فيجف ويفسد ويموت. او يجمع البيض ويدهس او يدرَّس بمحدلة

(١) رزت الجرادة غرزت ذنبها في الارض لتبيض

ثقيلة . كذا يفعل اهالي الشام حينما يرزُّ الجراد في بلادهم فان الحكومة تفرض على كل مكلَّف ان يقدّم لها جانباً معلوماً من بيضهِ فيجمعهُ لها بنفسهِ او يبتاعهُ ممن يجمعهُ لهُ. فيحسن بالحكومة ان تبتاع بيض الجراد من الناس اغراءً للفقراء بجمعهِ

ثانياً اذا بقي شيءٌ من البيض في الارض حيث لم يُهتَدَ اليهِ او لم تبذل الهمة في جمعهِ وظهر الجراد الصغير منهُ فانهُ يكون في اول الامر اسود كالذباب لا يستطيع ان يطير بل يدبُّ على الارض دبيباً ويقال لهُ الدَّبى . ووسائط قتلهِ حينئذٍ كثيرة . منها ان يدرس درساً بمحدلة ثقيلة فيموت جانب كبير منهُ ولاسيما في العشرة الايام الاولى من فقسهِ وفي الصباح والمساء بعد ذلك . ومنها ان يخبط بالمخابيط والرفوش ونحوها من الادوات العريضة. ومنها ان يرش عليهِ زيت الكاز فانهُ يموت بهِ . ومنها ان تحفر لهُ خنادق عرض الخندق منها نحو سبعين سنتيمتراً وعمقهُ كذلك ويجب ان تكون حافتا الخندق قائمتين ويطرد الجراد الصغير الى الخندق فيقع فيهِ بسهولة ولا يمكنهُ الخروج منهُ فيموت فيهِ جوعاً . او يجعل في كل خندق حفر عميقة فيجرَف اليها بعد ان يقع في الخندق ويطمر فيها بالتراب او يصب في الخندق ماءٌ وذلك سهل جدًّا في القطر المصري لسهولة جرّ الماءِ الى كل مكان فيغرق الجراد الصغير فيهِ فيموت

ثالثاً اذا دخل الجراد الصغير بستاناً وجب ان توقى الاشجار منهُ وذلك بان تحاط سوقها بالصفيح او بورق مدهون بالقطران

رابعاً اذا بقي جانب من الجراد وكبر وصار يمكنهُ الوثوب عن الارض والطيران ولو قليلاً فلا تعود الخنادق تفي بالغرض فيوضع في طريقهِ سياج من القش والهشيم ويطرد اليهِ ثم يحرق بهِ . او يجمع باكياس كبيرة

خامساً اذا بلغ الجراد اشدَّهُ فانجع واسطة حينئذٍ لاهلاكهِ ان يجمع جمعاً عند الفجر حين يكون عاجزاً عن الطيران لشدة البرد ويحرق او يدرَس وان يطرد عن الارض المزروعة بالجلبة والصياح والدخان ولا بدَّ من ان تُغتَنَم لذلك فرصة هبوب الرياح الشديدة لان قوَّة الجراد على الطيران غير شديدة وانما الرياح تحملهُ وتسوقهُ من مكان الى آخر

ولا شيءَ يتغلب على همة الرجال وحزمهم فاذا استعملوا الوسائط المتقدمة بالهمة والحزم لم يبقَ من الجراد ما يضرُّ بالمزروعات

## مراتب الارض ومناطقها

(تابع ما قبله)

(٤) ضواحي مصر شمالاً في القليوبية وجنوباً في الجيزة تمتاز ببساتين الفواكه والخضروات وصناعة الالبان وتربية الطيور وزراعة الكتان

(٥) الارض الرملية وهي منتشرة بين مراتب الارض المختلفة وقد امتازت بعض اصقاعها في الشرقية بزراعة الحناء وفي ضواحي الاهرام بزراعة البصل ومريوط بزراعة الشعير زراعة بعلية على المطر . هذا عدا سائر الزروع التي اختصت بها الارض الرملية كلها — والذي يروى منها بالروافع دائماً تستنفد نفقات ريهِ المتوالي كثيراً من ريعه فيقل الربح منه . وبعض الارض الرملية العلو تحفر اخاديد يزرع فيها البطيخ زراعة بعلية اذ تصير جذوره قريبة من الثرى الندي" او تزرع بعض الاشجار حيث تخف صعوبة ريها عما اذا لم تكن في اخاديد [1]

(٦) السياحات مستنقعات واسعة جداً تبلغ مئات الالوف من الافدنة في اطراف البراري ترطبت من طغيان مياه البحيرات المجاورة لها شمالاً حينما يطغو البحر على هذه شتاء — ومن ماء الصرف والسايب عليها من المصارف والارض المجاورة لها جنوباً لا سيما في فصل الفيضان ويبلغ عمق الماء فيها الى ٣٠ سنتمتراً واكثر في بعضها احياناً وفي غير ذلك يكون ضحاضح دقيقة . وينبت في هذه السياحات البردى والحجنة والنسيله والامشوط والسافون وغيرها من الاعشاب الصالح اكثرها للمرعى فيستفيد منها اهل الجهات المجاورة لها بأرعاء مواشيهم وسروحها فيها لاسيما المواشي الحلوبة وكذلك مواطئ الارض المجاورة لبركة قارون بالفيوم

(٧) البحيرات وهي مناقع عميقة اعمق من السياحات او هي منخفضات كبيرة المساحة تجمعت فيها المياه — وتصب فيها اكثر مصارف الارض الزراعية عدا ما يتسرب اليها من ماء البحر ومتوسط عمق المياه فيها نحو متر واحد وينتفع اهل البلاد القريبة لها بصيد الاسماك والطيور المائية منها

وقد اصلحت احدى الشركات الاجنبية بحيرة ابي قير ضواحي الاسكندرية وباعتها للاهالي فافادت واستفادت شأنها في ذلك شأن سائر شركات اصلاح الاراضي او

(١) الاخاديد خطوط عميقة تحفر حتى يظهر الثرى الندى من الماء الارضي

الشركات العقارية التي اصلحت كثيراً من ارض البراري وباعتهُ للفلاحين

ومن اهم البحيرات بحيرة المنزلة باطراف الدقهلية وبحيرة البرلس باطراف مديرية الغربية وكلاهما متصل بالبحر الابيض المتوسط وتصب فيه المصارف — وبحيرة ادكو ومريوط في اطراف مديرية البحيرة ومجموع البحيرات كلها اكثر من ٦٥٠ الف فدان عدا السياحات والارض الموات يمكن اصلاحها الاَّ ما لابد من تركهِ مصائد للاسماك. اما بحيرة قارون بالفيوم فيتعذَّر اصلاحها لعمقها وتعذر صرف المياه منها للصحراء لعلوهذه عنها كثيراً

(٨) الواحات وهي سهول منخفضة في وسط صحراء ليبيا ذات بقاع خصبة التربة تروى من العيون الطبيعية والآبار المعين وأهم زروعها كروم النخيل وحدائق الفاكهة والاشجار المثمرة كالزيتون وغيطان الحبوب والمرعى وبساتين الخضروات والمقاثي ولكن الحبوب التي تنتج منها الآن دون حاجة اهلها اما باقي الزروع فاكثر من حاجتهم ولكنهم لا يستطيعون تصدير غير البلح الجاف (التمر) والعجوة وقليل من الفاكهة المجففة لصعوبة المواصلات بينها وبين انحاء القطر — واهلها فقراء ووسائل الزراعة لاسيما الماشية ضئيلة عندهم ولا يحسنون الانتفاع بالمياه الموجودة لديهم فتتكون منها برك ومستنقعات تضر بصحتهم وبصحة ماشيتهم فيمكن استغلال واستعمار الواحات حتى تصير احسن مما هي الآن كثيراً باجراء الوسائط الصحية وتحسين وسائل الري والزراعة والمواصلات وقد بدأت وزارة الزراعة تعنى بامرها فلعلها تستمر الى ان تصل الى نتيجة يحسن السكوت عليها. واشهر الواحات واحة سيوة التابعة لمديرية البحيرة والواحات البحرية التابعة لمديرية المنيا وتعرف بواحات الفرافرة والواحات الداخلة والواحات الخارجة التابعة لمديرية اسيوط ويربط هذه الواحة الاخيرة بسكة الحديد خط يلتقي بها على مقربة من فرشوط

جدول مناطق الارض الثانوية

الارض العلو بالوجه القبلي منها وادي كوم امبو وهو الآن ارض رواتب وحوش النبارى (الذرة النيلي)

وبالوجه البحري الكثبان والجزائر الرملية المرتفعة وزراعتها المسقاوي تروى بالروافع بكلفة كبيرة وقد تحفر اخاديد تزرع بطيخاً زراعة بعلية

| | | |
|---|---|---|
| ضواحي مصر | جنوبي القليوبية وشمالي الجيزة | امتازت بزراعة الخضراوات والفاكهة وتربية الطيور وصناعة الالبان |
| الارض الرملية | بالوجهين البحري والقبلي | تزرع بزروع الارض الرملية فول سوداني وسمسم وترمس وحنا ومقاتى ونخيل وخروع وصبّير (تين شوكي) |
| الجزائر والسواحل النيلية | على شواطئ نهر النيل وفروعه الكبرى | تزرع ما يوافق معدنها وحالة ريها رواتب كانت أو حياضاً وسوداء كانت او صفراء او رملية |
| السياحات | في اطراف البراري والفيوم | وهي من الارض الموات وفيها بعض المرعى لماشية اهالي البلاد المجاورة لها |
| البحيرات | تلي السياحات شمالا | ومنها يصطاد السمك والطيور المائية |
| الواحات | في وسط صحراء ليبيا | يزرع فيها بعض الحبوب والخضراوات والفواكه والزيتون والنخيل الخ |

ملحوظة : — اشتهرت وامتازت بعض الجهات او البلاد باحدى المزروعات او الصناعات الزراعية مديرية قنا بصناعة الفخار (الخزف) البلدي وزراعة الخشخاش قبل تحريمها قانوناً وبعض بلاد الفيوم بزراعة التين والعنب والليمون والزيتون وتربية الطيور وبعض بلاد المنيا بصناعة قصب السكر وقرية باسوس قليوبية بزراعة الشمام والزقازيق بصناعة الحصر ووادي الطميلات شرقية بزراعة السمار والقرين شرقية بالبلح العامري وكرداسة جيزة بزراعة البصل ورشيد بضرب الارز ودمياط به وبصناعة الالبان وقرية برماغربية بعامل التفريخ الخ الخ

ضواحي طلخا احمد الالفي زراعي عملي

---

## زراعة الملوخيا

CORETE POTAGERE

اصلها وتحليتها — يقول النباتي دوكاندول ان بلاد الملوخيا الاصلية واقعة غربي الهند وانها انتشرت بالزرع في اوسترالية وافريقية والشام وغيرها وان زرعها لا يتعدى تاريخ الميلاد حتى في بلادها الاصلية .وهي نبات سنوي من الفصيلة التيلية Tiliacées اسمه اللاتيني Corchorus olitorius ساقه منتصبة رفيعة طويلة قليلة التفرع لاسيما

اذا كانت النباتات ملتفة . واوراقه بيضية مستطيلة متوالية مسننة والسنان اللتان في اسفل الورقة تنتهيان بخيطين دقيقين ، وازهاره صفراء منفردة او مزدوجة في ابط الاوراق كأسها ذات اربع وريقات او خمس وتويجها كذلك واسديتها عديدة وثماره قرون اسطوانية منتهية بمنقار ولها عشر زوايا ، واذا قطعت الثمرة على عرضها يرى داخلها خمسة تجاويف بزورها منضدة . والبزور صغيرة ضاربة الى الخضرة ذات زوايا عديدة في الغرام منها ٤٥٠ بزرة وهي تحتفظ بخاصية الإنتاش خمس سنين تقريباً

الاقليم والتربة — الملوخيا من نباتات البلاد الحارة فهي لا تحتمل برد الشتاء ولا تزرع في أقاليم الشام الاّ بعد ان تشتد الحرارة في الربيع ، وتناسبها التربة العميقة التي يمكن اسقاؤها بمقدار كبير من الماء

زرعها — تجهز تربتها بالحرث والاسمدة وتقسم أحواضاً ثم تبذر البزور باليد بحيث يكون في الف متر مربع من الارض نحو كيلو غرامين ونصف من البزور . وتغطى البزور بحرث سطحي إما بالمحراث او بالمنكاش. ويمتد اوان البذر من نيسان في الساحل والغور الى اواسط حزيران في مناطق السهول ويكون قبيل حصد الحنطة او بعيده في بساتين دمشق. وبعد ان ينمو النبات يتعهد بالسقي وبتنقيتهِ من العشب ويبدأ بقطعه بعد شهرين على زرع بزورهِ ، وهو يقطع ثلاث مرات الى سبع مرات بين المرة والثانية نحو عشرين يوماً واذا اريد الحصول على حبه يترك النبات حتى تحصل الثمار وتنضج البزور فيقطع وتدق الثمار حتى تنزع البزور منها

استعمالها — الملوخيا[1] من النباتات الليفية لكنها لا تزرع في الشام للحصول على اليافها بل تكون الغاية من زرعها جني ورقها وطبخه شأن كثير من الخضر ، وهي مشهورة في مصر وفي دمشق حيث يطبخونها بعد ان يضيفوا اليها مقداراً من الثوم ، ويستلذها بعضهم لكنها بنظري من اردأ الخضر فشتان بينها وبين الخرشوف والهليون والباذنجان مثلاً . واذا طبخت صارت غروية مثل البامية ، وهي مغذية قليلاً

عن كتاب «البقول» للامير مصطفى الشهابي

---

(١) لم اجد هذا اللفظ في الامهات ، وقد ذكره الخفاجي في « شفاء الغليل » فقال : « ان الملاخيا لم تكن معروفة قبلا وانها حدثت بعد سنة ٣٦٠ من الهجرة وانها ذكرت للمعز باني القاهرة فاكلها واستلذها فسميت ملوكية فحرفتها العامة وقالت ملوخيا . . . » ولعل صاحبي محيط المحيط واقرب الموارد نقلا عن الخفاجي . واخطأ دوزي فظنها الـ Mauve وهي غيرها كما ترى

# مكتبة المقتطف

## تاريخ الفكر العربي

### في نشوئهِ وتطوّرهِ بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

بقلم اسماعيل مظهر بك — صفحاته ١٨٢ من قطع المقتطف — طبع بمطبعة مجلة العصور بمصر
ثمنه ١٥٠ مليما

—o:o—

كيف انتقلت الفلسفة اليونانية الى العرب ؟ وهل انتقلت مباشرة من اللغة اليونانية الى اللغة العربية ؟ ومن نقلها ؟ وما هو الباعث الذي حمل الذين نقلوها على ذلك ؟ وما هي المدارس التي اشتهرت في التاريخ العربي بانها مراكز تنتشر منها أنوار الثقافة الجديدة؟ ومن نبغ منها من العرب والمتعربين في فنون الطب والكيمياء وعلوم المنطق والمباحث الفلسفية والروحية على اختلافها ؟ ترى الاجوبة الوافية عن هذه المسائل التاريخية الخطيرة في الجزء الاول من هذا الكتاب النفيس الذي جمع فيهِ مؤلفهُ آراء اشهر المستشرقين الباحثين في هذا الموضوع وقد لخص المؤلف بحثهُ في تاريخ هذا الانتقال صفحة ٢٦ حيث قال :

« من هنا نعتقد ان اللاهوت والفلسفة والعلم في الاسلام لم تغرس الاَّ في ارض شبعت من قبل بالثقافة اليونانية على اختلاف ضروبها وتباين الوانها . اما السبيل التي خطت فيها الثقافة اليونانية الى العرب فذات خمس مفاوز

اولا — النساطرة ، الذين كانوا اول من علم المسلمين واول الذين خدموا الطب في العصور الاولى . ثانياً — اليعاقبة الذين كانوا اول من ادخل الباطنية والأفلاطونية الجديدة في الجو العربي . ثالثاً — الزرادشتيون في فارس وعلى الاخص مدرسة جنديسابور ، ولو ان هذه المدرسة قد امتزجت بعنصر قوي من عناصر النسطورية رابعاً — وثنيو « حران» ولو ان اثرهم في الاسلام لم يأت الاَّ مؤخراً . خامساً — العبرانيون ، على انهم لم يكونوا على صلة بالفلسفة الارسطوطالية ، وظلت مدارسهم في صور Sora « وبامباديثا » Pambaditha عاكفة على درس شرائعهم التقليدية

« لم يبدأ العبرانيون في درس الفلسفة الاَّ في العصور المتأخرة وقد استمدوا من فلاسفة العرب . غير انهم ورثوا عن النساطرة نزعة الى علم الطب ، حتى ان الاطباء اليهود قد ظهروا في اوائل عمارية بغداد . غير انهم لم يبزُّوا النساطرة في ذلك . فمن بين الاطباء الذين يذكرهم العلامة « لكلارو M. Leclerq في كتابهِ في تاريخ الطب عند العرب Histroire de la Medicine Arabe في القرن العاشر الميلادي ٢٩ طبيباً مسيحياً وثلاثة من اليهود واربعة من وثني حران . في حين أن النسبة اختلفت في القرن الحادي عشر ، فكانوا ثلاثة مسيحيين وسبعة من اليهود ، ومن ثم تكاثر الاطباء العرب من بعد ذلك كثرة لا تحفظ فيها النسبة بينهم وبين غيرهم »

ثم فصّل بعد ذلك تاريخ الترجمة عن العرب وهو موضوع لا تزال لهُ جدتهُ لما يعانيهِ كتاب اليوم من المصاعب في ترجمة العلوم الغربية ولما يدور في خلد الكثيرين من وجوب تأليف مجمع علمي يشرف على هذه الترجمة ومجمع لغوي للعناية باسلوبها ومصطلحاتها المعرّبة والمترجمة

ويلي ذلك فصل مسهب في سيرة جابر بن حيان الذي « يقترن اسمهُ من حيث الشهرة ومن حيث الأثر النافع باسماءِ العظماءِ من رواد الحضارة والعمران » وقد قال فيهِ الاستاذ برتيلو المؤلف الفرنسوي .... « ان اسمهُ ينزل في تاريخ الكيمياءِ منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق »

ويلي ذلك فصل في « اسلوب الفكر العلمي. نشوؤهُ وتطورهُ في مصر خلال نصف قرن » .. وقد ذهب فيهِ الى انهُ لم يجد في تاريخ مصر الحديث من حين ان غزاها نبوليون حادثاً يلتئم الفكر من حولهِ التئاماً يكفي لان يغير من اساليب الفكر العلمي والادبي. ودلَّل على ذلك . وقال في نهاية مقالهِ : « ان الخطوات التي خطوناها في سبيل الخروج من ظلمات الاسلوب الغيبي ( بمساعدة المدارس والمجلات والصحف السيارة ) الى وضح الاسلوب اليقيني سوف تقودنا سعياً الى ميدان يتصادم فيهِ الاسلوبان تصادماً يثير في جو الفكر عجاجةً ينكشف غبارها عن الاسلوب الغيبي وقد تحطمت جوانبهُ واندكت قوائمهُ وتترك الاسلوب اليقيني قائماً بمهابة الجبار القوي الاصلاب مشرفاً على الشرق وقد هبَّ من رقاد القرون يسير في الدرب الذي مهَّد سبلهُ للانام نواميس النشوءِ والارتقاءِ » وهذا المقال هو ردّ الاستاذ على سؤال كان قلم تحرير المقتطف

قد وجههُ الى جمهور من الكتاب وطلب فيهِ اليهم ان يبدوا آراءهم في « اظهر مظاهر النهضة الشرقية الحديثة وابقى آثارها »

اذا اضفت الى كل هذه المباحث التاريخية الفلسفية الدسمة اربعة مباحث من نوعها في اربعة من اشهر شعراء العرب وفلسفتهم ودلالة شعرهم على نفسيتهم وهم المعري وشوقي ومهيار الديلمي وبشار بن برد عرفت انك تشتري بخمسة عشر غرشاً غذاءً عقليًّا لا يقوَّم بمال قضى صاحبهُ الايام والليالي في التنقيب عنهُ في بطون المؤلفات. فنشكر لصديقنا عنايتهُ وهمتهُ ونتمنى لهُ ولمجلتهِ ولمطبوعاتها دوام التقدم والرقي

وقد اهدى الكتاب الى « استاذي وصديقي : الدكتور يعقوب صروف احياءً لذكر الصداقة واعترافاً بما لهُ عندي من الدين الادبي الذي ان عجزت عن ان أؤديه حيًّا فلا اقل من احيي اليوم ذكراهُ وهو في عالم الارواح »

---

## اللغة العربية والاستاذ النشاشيبي

امامنا كتابان الاول « البستان » وهو حديقة غناء جمع فيها الاستاذ النشاشيبي من فنون الادب العربي كل زهرة زاهرة وكل ثمرة يانعة. وقد بدأهُ بخطبة لهُ بليغة عنوانها « الاستاذ : المدرسة » قال في مطلعها « اللغة هي الأمة والأمة هي اللغة وضعف الاولى ضعف الثانية وهلاك الثانية هلاك الاولى . وكل قبيل حريصٌ جدُّ حريصٍ على ان يستمرَّ كونهُ الى الأبيد. فهو مستمسك بلغتهِ للاحتفاظ بكينونتهِ. واللغة ميراث اورثهُ الآباء الابناءَ واحزم الورَّاث صائن ما ورث واسفههم في الدنيا مضيّع »

ومن عرف الاستاذ النشاشيبي كما عرفناهُ عرف ان هذا الكلام صادر من اعماق نفسهِ . وانهُ في كلامهِ وخطابتهِ من اقوى الداعين وابلغهم الى المحافظة على هذا « الارث الذي ورثناهُ » لذلك جمع في هذا الكتاب درراً من اقوال العرب شعراً ونثراً لكي يستظهرها طلاب المدارس لان اتقان اللغة الوطنية يزيد اكرام المرءِ لنفسهِ واعتزازهُ بها ويصير اقدر من غيرهِ على فهم ما يكتب بها وعلى التعبير عن افكارهِ بجلاء وقوة

والكتاب الثاني رسالة بل خطبة خطبها الاستاذ النشاشيبي في مهرجان شوقي لما جاء على رأس الوفد الفلسطيني للاشتراك فيهِ . وهي كذلك تدور على مقام اللغة العربية ولهُ فيها آراءٌ طريفة منها قولهُ :

«فاذا لاقيتم في عصور المولدين او في عصور المتأخرين قبحاً في القول يُمض الاذن ان تسمعهُ وتقتحمهُ العين إما أبصرتهُ

«وإذا الفيتم كلاماً بهرجاً قد وهت اعضاده وتشوه تركيبهُ وفقد ذاك الرونق

«وإذا وجدتم شعراً سخيفاً قد عميت معانيه وقد استعجم على تاليه

«وإذا سمعتم سجعاً غير طبيعي مرتجًا زحافاً متدحرجاً قد لعنتهُ العربية

«إذا وجدتم ذلك فلا تلومنَّ العربية ولا تتنقَّصنَّها ولوموا امة ضعفت فضعف قولها وذلت فذلَّ شعرها وحارت في دنياها فاستحار كلامها

ومنها قوله:

«على ان لغة العلم في العربية (وللعلم لغة وللادب لغة) لم تُضَم ضيمَ اختها. وما المقاصدُ والمواقف وشرحاها واقوال ابن الخطيب ومقدمة ابن خلدون (على مغربيتها) وكلها في العصور المتأخرة بالتي تذم (في اسلوب اللغة العلمي) جملتها

«ويخيَّل اليَّ أن نفوس الحكماء العلماء تكون في احايين الضعف اقوى من نفوس الادباء فلا تهن وهنها ولا تهون هوانها اوكأنَّ العلماء في الدنيا، وليسوا في الدنيا، ومن الناس وليسوا من الناس. وقد يلاقى هؤلاءِ القوم المساكين ربهم ولا أثر لحوادث دهرهم فيهم وقد يتقحمون ميادين الحياة فيتأخرون ولا يتقدمون.....»

ومنها قولهُ:

«فارجع يا فتى الى اسلوب القرون الثلاثة الاولى الى الاسلوب الطبيعي العربي، الى الاسلوب الباريسي، الى اسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الاربعين، وانبذ انبذ مقامات الحريري ومقامات الهمذاني وما شاكلها ولا تتصفحنها إمَّا ابتغيتَ تعرُّفها إلاَّ خائفاً وحذارَيْكَ (١) أن يستعبدك متقدم في الزمان اومتأخر واياك وانْ تقلد في القول احداً فالمقلد عبد ولا يرضى بالعبودية حر والعاقلُ لا يهب كينونتهُ لسواه وان ساواه او علاه وبعضهم لا يهبها لله (عز وجل) والتقليد عدم والاستقلال كون فلا يؤثر على الثاني الاول إلاَّ احمق»

والرأي الاخير الذي يدعو فيهِ الى العودة الى اسلوب القرون الثلاثة الاخيرة لانهُ الاسلوب العربي الطبيعي جدير بالنظر والاعتبار في تدريس اللغة العربية وقواعدها واساليبها وتطبيقها على مقتضيات الحياة العصرية وفي نقل علوم الغربيين وآدابهم

(١) (حذاريك) كذا اي حذره حذراً بعد حذر من المصادر المثناة للمبالغة

## السفور والحجاب

### ظاهرات الحياة ارقى ظاهرات الوجود

أرأيت الصخور تتزحزح عن مواضعها ، اذ يخترقها جذر دقيق كالخيط في مادته وليونته ؟ . تلك فاعلية الحياة ، والحياة سرٌّ من اعمق اسرار هذا الكون ، بل اعمقها واسماها . تجلَّت لي هذه الفكرة وانا اتصفح المؤلف الحديث « الحجاب والسفور » بقلم الآنسة نظيرة زين الدين ، كريمة الوجيه الفاضل سعيد بك زين الدين الرئيس الاول لمحكمة الاستئناف في بيروت . انهُ كتاب هزَّ العالم العربي ، وزعزع ملكوت الحجاب وايّ زعزاع

تلقي نظرة على الكتاب ، وتتلو آي القرآن الكريم الوافرة ، والحكم والحقائق الناضجة التي ازدانت بها صفحاتهُ فيخيَّل اليك ان الكاتبة من شيخات الدهر اللاتي بلغن من العمر عتيًّا . ولا تتصور انها صبية ترفل بمطارف الصبوة ونضارة الحياة . وان امثالها يغشين المراقص ومغاني اللهو ، بينا هي تساجل العلماء وتناضل الفقهاء في موضوع جبن امامهُ كبار الزعماء وخشي مغبة خوض مباحثه ائمة العلماء . وقد انطلقت فتاتنا في ميدان البحث انطلاق السهم يشق كبد الفضاء ، او شعاع النور يمزق مهجة الظلماء ، او كسريع القطارات — الاكسبرس — ينهب الارض نهباً ، لا يشق لهُ الفرسان غباراً . وقد تتصور ان الكاتبة من بنات اليوم اللاتي خلعن العقيدة والعبادة وهمن في بيداء الجحود والزندقة . وقد لا تصدق ان الاستمساك باهداب الدين وأواصر التقوى سدى كتابها ولحمتهُ والاستناد الى الكتاب والسنة حجر زاويته وامتن دعائمه . وضعتُ الكتاب بين يدي وجعلت اقلب صفحاته ، واسرح طرفي في رياض مباحثه وحدائق براهينه ، فكدت لا اصدق عينيَّ ان فتاة في شرخ الصبا تجلي في مضمار « الكلام » بين طرائف المعقول والمنقول ، وتجلو لباب الدين جلاءً ، وتفرق بين غث العقائد والعادات وبين سمينها . فتثبت لك بالادلة « العقلية والنقلية » ان الحجاب آفة الشرق وآفة الاسلام . وان السفور ادعى الى الفضيلة واضمن الى الصون والعفاف ، واعلاء كعب الامة في ميدان الارتقاء

رجال يتسلحون بالشتائم ، فترمى الحرائر بالحجارة وترش ثيابهنَّ بماء النار ، وينادون بوجوب احالة نصراء السفور الى المحاكم وتهديد حياتهم بالاغتيال . وفتاة

تدفع في ميدان الدفاع عن السفور وعن حرية المرأة متسلحة بكتاب الله ، وبابلغ ما نظم الشعراء من الحكم ، وترمي الى بث الاقناع في النفس ، في البق وابدع طرائق الاقناع وابلغها حكمة . مشهد كهذا اقنعني ان دولة الحجاب قد دالت رحم الله نصراءه رحمة واسعة

ان كتاب الآنسة نظيرة زين الدين ظاهرة حياة ونور لا تقوى ظلمات الجهالة والتقاليد على معارضة نفوذها . ولا يزعمن ساداتنا الحجابيون انَّا نصراء نظيرة ، لا وربكم. انا نصراء قضية هي نصيرتها. وانا لنقف تحت لوائها لانها عززت في نفوسنا اليقين بالفوز النهائي . واضافت الى ظاهرات الحياة في الشرق ظاهرة جديدة . ومن علائم الفوز ان ينتشر كتابها قبيل الاحتفال بانقضاء عشرين سنة على ظهور كتاب قاسم امين على ما هو مبين في باب شؤون المرأة من هذا الجزء من المقتطف

ويقع الكتاب في اربعمائة وعشرين صفحة حسنة الطبع والتغليف وقد ختمتهُ المؤلفة بهذا البيت

لا ترتقي أمة حتى يكون لها    يوماً على سيء العادات عصيانُ

حنا خباز

---

## العقل الباطن

الخطيب الذي يرتجل خطبة طويلة مفعمة بالادلة والشواهد . والشاعر الذي تجود قريحتهُ في بعض الاحيان فينظم البيت بعد البيت من غير توقف ويستحضر ذهنهُ المعاني والقوافي. والمجادِل الذي تحرجهُ فيسرد لك الدليل بعد الدليل من غير توقف. والمحرّر الذي يدعى فجأة لانشاء مقالة كبيرة في دقائق قليلة فيسبق فكرهُ قلمهُ . وهو لو حاول انشاءها في وقت آخر لتعذَّر عليه ان يأتي بربعها في ذلك الوقت . والشاب الذي يرى رؤى في رابعة النهار او يحلم احلام السعادة والسلطان في الليل — كلهم يفعلون ذلك من غير وعيٍ تام لان عقلهم الباطن وما هو مخزون فيهِ من الخواطر والحقائق والمشاهد يوحي اليهم ما ينظمون ويكتبون ويحلمون

فما هو هذا العقل الباطن وما هي اسرارهُ ؟ ما هي علاقته باعمال اليقظة واحلام الليل من جهة وبالغريزة الجنسية من جهة اخرى ؟ وكيف يختلف عن العقل الواعي ؟ وما هو اثر كلٍ منهما في حالي الصحة والمرضِ ؟

كل ذلك تجدهُ مفصلاً في كتاب العقل الباطن الذي وضعهُ الاستاذ سلامه موسى واهدتهُ مجلة الهلال الغراء الى مشتركيها . واليك نبذة جاء بها المؤلف في فصل «النفسلوجية الحديثة وأثرها» : —

«فهذا العقل الباطن هو خزانة العواطف المكبوتة التي يمنعنا الحياء او الشرائع او الفقر من الاستسلام لها . وهو ينفس عنها بالخواطر والاحلام واحياناً اذا كانت هذه العواطف قوية والكبت شديداً فانها تنفجر وتتخذ هيئة هستريا او نوراستينيا تشبه الجنون

«ومن هذه الظواهر نعرف ان حبس العواطف يؤذي الناس وخصوصاً تلك العاطفة الجنسية التي هي اعنف العواطف جميعاً . وليس معنى كلامنا ان النفسلوجيين يقولون بالاستسلام لهذه العاطفة بل يقولون بالصراحة في الكلام عنها وينصحون للشاب بالمناقشة فيها. وذلك لان هذه المناقشة تزيل عنها مسحة اللغز الذي يمسحها عليها الخفاء. ومن أغرب ما ثبت من الانتحار وهو يؤيد الدعوة الى الصراحة والبوح والمناقشة ان الامم الكاثوليكية أقل الامم انتحاراً. وهذا ثابت من الاحصاءات التي تنشرها الحكومات وهذه القلة تعزى بلا شك الى ان الكاثوليكي يعترف الى الكاهن وباعترافه ينفس عن عاطفة مكبوتة لا يطيق احتمالها . وليس التحليل الذي يقوم بهِ النفسلوجي مع المريض سوى مناقشة يعترف فيها المريض بمركباتهِ القديمة فاذا توضحت امامه سكنت نفسهُ اليها وذهب عنهُ مرضه

« ولا يمكن ان نعالج الشاب بالاستسلام لعواطفهِ لاننا بذلك نقيم في نفسهِ صراعاً جديداً في مكان الصراع القديم . لان الاستسلام للعواطف يجر وراءه تبعات جديدة تحدث عواطف جديدة مؤلمة للنفس . فاذا لم يكن الزواج مستطاعاً فانهُ يمكن التنفيس عن العاطفة الجنسية بالتسامي اي بممارسة نوع من الفنون الجميلة او بالسعي في سبيل البر بما هو ذو علاقة بهذه العاطفة

«وبدرس العقل الباطن يمكننا الآن ان نفهم اساطير الانسان القديم وكيف نشأت عقائده وكيف اهتدى الى الاداء بالمجاز والاستعارة. فاننا في احلامنا نرى احياناً كثيرة صورة اسلافنا ونرى في رمز الحلم الاستعارة الاولى للغة»

وفي آخر الكتاب جدول ذكر فيهِ المؤلف بعض الالفاظ الفنية وترجمتها او تعريبها وقد اجاد في ترجمة Sublimation بلفظ «تسامٍ» و Suppression بلفظة «كبت» وغيرها

## الزراعة الجافة

ترجمه ووضعه نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل في ٢٦٨ صفحة وطبعه بمطبعة جريدته بحيفا

الزراعة من حيث علاقتها بماء الري اما مسقاوي او بعلي — فالاولى هي التي تسقى سقياً صناعيًّا دوريًّا اي في ادوار متعاقبة طبقاً لحاجة زراعتها في ادوار نموها المختلفة كزراعة القطن المصري الآن — والثانية هي التي لا تسقى بعد زرعها سقياً صناعيًّا سواء كان ري ارضها قبل الزراعة صناعيًّا كما في ارض الحياض بالوجه القبلي او من المطر كما في فلسطين وفي الحالين قد يغيثها المطر فتنتفع بهِ — هذا هو اصطلاح اهل الفلاحة وكتّابها في العربية قديماً وحديثاً

ولكن نزول المطر يكون في بعض الاقطار غزيراً فتصير ارضها أندى وزرعها ازكى منهُ في الجهات التي يكون نزوله فيها شحيحاً وعليهِ جرى اصطلاح علماء الزراعة المحدثين على تقسيم الزراعة الى زراعة رطبة وزراعة جافة وفلسطين وطن مؤلف هذا الكتاب من القسم الثاني ولذلك عني بوضعه معتمداً على كتاب جمعهُ العالم الزراعي الفاضل المستر جون ودتسون من اوثق المصادر والمختبرات العلمية

والكتاب يحتوي على عشرين فصلاً شرح فيها الفرق بين الزراعتين الرطبة والجافة والاساليب المتبعة في هذه وعلاقتها باحوال الجو اي المناخ وانواع التربة وطبائعها والماء الارضي وفلاحة نباتاتها بالتفصيل الخ الخ مما يهم اهل الفلاحة وطلابها

تذكرت وانا اتصفح هذا الكتاب رأياً ارتأيتهُ لتقدم الزراعة في الاقطار الناهضة كمصر وفلسطين واشرتُ اليهِ في المقتطف والمقطم مراراً خلاصتهُ ان من خير الوسائل لهذا التقدم أن نبدأ من الاساس وهو عمل الفلاح فنجمعهُ ونهذبهُ مما يغشّيهِ من الابهام والاوهام ثم نزيدهُ بتجاربنا وابحاثنا ومقتبساتنا ، ذلك ان لفلاحي كل قطر عرفاً زراعيًّا خاصًّا توصلوا اليهِ بعد الممارسة الطويلة والاختبار المتكرر جيلاً بعد جيل وتداولهُ الخلف من السلف وكثيراً ما يكون فيهِ من الحقائق الزراعية الاكيدة ما لا يمكن الوصول اليهِ الاَّ بعد تجارب طويلة وابحاث دقيقة يمكن توجيهها الى الوصول والفوز بحقائق غيرها — فالى هذا الرأي اوجه نظر رجال النهضة الزراعية في فلسطين

وقد استعمل المؤلف الفاظاً استوقفت نظري ففي ص ٦ اعماق التربة والصواب

اعماق الثرى وفي ص ١٨ وضع كلمة الطقس موضع المناخ — فالطقس عبارة عن الاحوال الجوية لمكان ما في وقت معين ويدل عليهِ بالارقام التي تدونها الارصاد الجوية من درجات الحرارة والرطوبة والهواء — فهو متغير بتغير احوال الجو في مختلف الاوقات . والمناخ اعم من الطقس فهو عبارة عن الصفة الكائنة للمكان من اثر تلك الاحوال في مجموعها ويدل عليهِ بمتوسط قيمتها او معدَّلاتها من حرارة ورطوبة وهواء لسنين عديدة بل لاجيال

والطقس يضاف الى الوقت فيقال طقس هذا الاسبوع في جهة كذا اما المناخ فلا يضاف الا الى المكان فيقال مناخ مصر

وفي ص ٣٢ استعمل لفظ الهيومن لما نستعمل له لفظ الدبال او المواد العضوية .

وفي ص ٥٦ عبر عن (مسام) التربة بكلمة (الخلايا) وفي ص ٦٢ قال ماء الجاذبية والصواب الماء الارضي

ليت كتاب العربية في اقطارها المختلفة يجرون على اسلوب واحد في استعمال الالفاظ الفنية والالفاظ المستحدثة وبذلك يسهل على جمهور القراء فيها الاستفادة من التآليف الفنية التي يضعها كتاب اي قطر منها ولا يخفى ما في ذلك من جزيل الفائدة والى ان يتم ذلك يحسن بهؤلاء الكتاب ان يشرحوا في تآليفهم معاني الكلمات الفنية والمستحدثة التي يستعملونها

وبعد فان هذا الكتاب جدير باقبال الزراع الفاسطينيين وبان لا تخلو منهُ مكتبة كل باحث زراعي في الاقطار العربية المختلفة ولكن ارى ان ثمنهُ ٣٥ قرشاً مصرياً إذا قيس بحجمه غالٍ

احمد الالفي

---

## تاريخ نجد الحديث

تأليف امين الريحاني — صفحاته ٤٣٢ قطع المقتطف طبع بمطبعة يوسف صادر ببيروت

انشأنا في مقتطف مايو الماضي فصلاً في الكتاب الانكليزي البليغ الذي وضعهُ الاستاذ امين الريحاني في رحلتهِ الى نجد. ولم نكد نتم مطالعتهُ والكتابة عنهُ حتى وافانا بريد بيروت بكتاب عربي للمؤلف بسط فيهِ تاريخ نجد الحديث وملحقاتهِ. وهو يشتمل على ثلاث نبذ في جغرافية نجد وسيرة محمد بن عبد الوهاب منشئ المذهب الوهابي .

ونشأة آل سعود الذين مهدوا الطريق لانتشار هذا المذهب. والنبذ الاخيرة وهي اكثر الكتاب تتضمن سيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما وفيها فصول وافية عن غزوة الوهابيين للحجاز وتنازل الملك حسين وما تلا ذلك من الحوادث وفي آخر الكتاب ملحق اشتمل على المعاهدات والاتفاقيات العربية المشهورة مثل اتفاقيات بحره وحدّاء ومكة المكرمة والمعاهدة البريطانية الحجازية وغير ذلك . والكتاب مرفوع الى جلالة ملك الحجاز ونجد بكلمة الى القارئ بعض ما جاء فيها :

« يا طويل العمر . ان ما قمتم بهِ من تحضير البدو وتأسيس الهجر لمن امجد آثاركم القومية ومن خير اعمالكم الاصلاحية . غير ان هناك عملاً آخر فيهِ كذلك الخير الجزيل بل فيهِ للعرب الخير الاكبر

« كانت الهجرة الاولى ، هجرة البدو ، من الشرك الى التوحيد في الدين، ومن البادية الى الحضارة ، فعسى ان تكون الهجرة الثانية من الامية الى الالفباء من الجهل الى العلم ، من الظلمات العقلية الى النور

« بنيتم يا طويل العمر البيوت للبدو . هي الخطوة الاولى في تمدينهم فعسى ان تخطوا الخطوة الثانية فتبنوا لهم كذلك المدارس . ان في المدارس تحقيق كل ما تنشدون. المدارس تكمل عمل السيف . المدارس تمهّد السبيل الى الوحدة العربية الثابتة . الوحدة الشاملة . الوحدة العزيزة الوثيقة العرى »

***

حقـًا ان من يطالع الكتب التي عني الاستاذ الريحاني بتأليفها في السنوات الاخيرة يَعجب ويُعجب بجلدهِ وصبرهِ. فمن العناية باعادة طبع الريحانيات الى وضع كتاب ملوك العرب في مجلدين واعادة طبعهِ الى تأليف « ابن سعود. شعبهُ وبلادهُ » بالانكليزية الى وضع تاريخ نجد الحديث الذي بين ايدينا الآن اعمال اقل ما يقال فيها انها تحتاج الى همة الجبابرة . وهو الآن يضع كتاباً في تاريخ سورية ولبنان عنوانهُ « النكبات » ستعنى بنشرهِ زميلتنا مجلة الكشاف البيروتية . ومع كل ذلك لم ينقطع عن الاشتراك في حياة الشرق العربي الفكرية وها هي ذي مقالاتهُ وخطبهُ في النقد والحث على الاصلاح اشهر من ان تعرّف

## حمائم المآذن

Les Colombes des Minarets
Anthologie Islamique.

اهدى الينا الكاتب الشاعر المسيو فرانز توسان مجموعة من الشعر الفرنسي بالعنوان المتقدم ترجمها عن اشهر القصائد الاسلامية من عربية وافغانية وبلوخستانية وشركسية وتركية ومصرية ( وفرعونية وعربية ) ومراكشية ورفعهُ الى جلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما وبدأهُ بالآية الكريمة « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

ومن القصائد العربية التي اختارها ونقل بعضها الى الفرنسية معلقة عنترة ومعلقة امرئ القيس ومعلقة زهير ومعلقة الحارث ومعلقة عمر بن كلثوم ومعلقة طرفة بن العبد. وترجم ايضاً جملة من آيات القرآن الشريف واشعاراً للشنفري ويزيد بن معاوية ولهارون الرشيد وغيرهم من كتاب العرب وشعرائهم كالمتنبي وابن الفارض والسيوطي والمقري والمعري وابن زيدون وابن نباتة ولما عرض لمصر ترجم قصيدة فرعونية جعل عنوانها « نشيد النيل » وجانباً من قصيدة شوقي في « سقوط ادرنة »

هذا وما ترجمهُ الكاتب من القصائد العربية يشغل نحو ١٢٠ صفحة من كتاب صفحاتهُ ١٦٩ من القطع الصغير . وقد نعرض لهُ في فرصة اخرى للنظر في الترجمة وهل جاء المترجم فيها على اغراض الشعراء الذين نقل كلامهم

---

﴿ معجم المطبوعات العربية والمصرية ﴾ ظهر الجزء الاول من هذا السفر النفيس وهو شامل لاسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر اسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة الى السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية . جمعهُ ورتبهُ يوسف اليان سركيس ويطلب من مكتبة سركيس بمصر بالفجالة نمرة ٥٣ . والجزء الاول الذي بين ايدينا في نحو ٢٠٠ صفحة من قطع اللطائف المصوَّرة وثمنهُ ٢٠ غرشاً يضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج . وينتظر ان يكون المعجم في عشرة اجزاء متى تمَّ وقيمة الاشتراك فيهِ الآن ١٥٠ غرشاً

# باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) التنويم المغنطيسي

البصرة عراق . هل التنويم المغنطيسي (الهبنوتزم) صحيح ? وهل يمكن للمنوّم ان يؤثر في المنوَّم ويطلع منهُ على اسراره واذا كان ذلك ممكناً فلماذا لا تستعملهُ الحكومات لكشف الاسرار التي تهمها معرفتها

ج . التنويم المغنطيسي او الاستهواء صحيح اي ان بعض الناس اذا حدقوا بنظرهم الى شيء لامع امامهم او اذا وقف امامهم شخص واشار اليهم اشارات متكررة على نسق واحد او اذا اعتادوا هذا النوم واعتقدوا ان هذا الشخص اتى لتنويمهم ناموا . الا ان عدد الذين ينامون قليل وهم في الغالب من ضعاف الاعصاب. ويستطيع المنوِّم ان يؤثر في المنوَّم بان يأمرهُ بقولهِ افعل كذا فيفعل او لا تفعل فلا يفعل . واذا طلب منهُ ان يفشي لهُ سرًّا من اسرارهِ فالغالب انهُ يفشيهِ ولكن ارادة المنوَّم تكون ضعيفة جداً فيتأثر من سؤال المنوِّم ويجيبهُ حسبما يقتضيهِ السؤال ولو كان الجواب غير صحيح. وهذا يعرف لدى علماءِ النفس المحدثين « بالايحاء» . ولا تستعمل الحكومات التنويم لكشف الاسرار لان الذين ينامون قليلون جداً ولانهم قد يجيبون على هوى السائل لا على ما يطابق الحقيقة

ويتوهم البعض إن المنوِّم يكتشف اسرار غيره وهذا خطأ والحقيقة انهُ يفشي اسرار نفسهِ. اما اسرار غيرهِ فانهُ ان لم يكن يعرفها فالتنويم لا يجعلهُ يعرفها

(٢) اسباب اللثغة

اسوان. هل اللثغة طبيعية في الانسان او توجد لها اسباب طارئة

ج . اذا ترك الولد يلفظ الحروف كما يشاء ولم يُصلَح لفظهُ فقد يجيء في بعض

الحروف كالراء والسين مخالفاً للفظ المألوف وهذه هي اللثغة وهي حينئذ طبيعية وتزول بالتمرين والاعتناء . وقد يصاب الانسان بمرض كالتيفوس فيشفى منهُ والنطق متعذر عليهِ ثم يتمرن على النطق رويداً رويداً ولكنهُ يبقى ألثغ في الغالب فاللثغة حدثت هنا من علة عارضة

(٣) سبب الفواق

مصر . ماهي اسباب الفواق hiccough فان لي طفلاً في الشهر السابع من عمرهِ يصاب بالفواق نحو اربع مرات كلَّ يوم فما هو سبب ذلك . وهل هو طبيعي . فانهُ في بعض الاحيان يلبث ما يزيد على ثلث ساعة مصاباً بهِ

ج . الفواق ويعرف « بالحازوقة » في برالشام سببهُ انقباض العضلات في الحجاب الحاجز . والحجاب الحاجز كما لا يخفى هو الغشاء العضلي الرقيق الذي يفصل صدر الانسان عن بطنهِ وفي الصدر القلب والرئتان وفي البطن المعدة والامعاء والكبد والطحال وغيرها . ووظيفتهُ ان ينقبض فيساعد في زفر الهواء من الرئتين ثم يتمدد فيفسح لهما مجالاً للتمدد بدخول الهواء النظيف

والعصب الذي يتصل بهذا الحجاب يدعى العصب الحاجزي Phrenic وهو طويل ينشأ في الجانب الاعلى من الحبل الشوكي قرب العنق . وكل ما يثير هذا العصب او يهيجهُ يحدث انقباضاً فجائيًّا في الحجاب الحاجز وهذا الانقباض وما ينجم عنهُ هو الفواق . واشهر ما يثير هذا العصب الاكل فوق الشبع او سوء الهضم او جلط اللبن المتخثر في المعدة . وقد يكون وجود الهواء الذي اتصل بالمعدة عن طريق الفم من هذه الاسباب . فالشعور بوجود هذه المواد في المعدة يتصل بالحبل الشوكي ثم ينتقل الى العصب الحاجزي فيحدث الفواق

والفواق الذي ينجم عن هذه الاسباب ليس ذا شأن خطير ويزول بشيء من العناية بالمأكل والمشرب و بضرب الطفل على ظهرهِ ضرباً لطيفاً حتى تخرج فقاقيع الهواء من معدتهِ . وكل الاطفال يصابون بهِ من حين الى آخر

على ان هناك نوعاً آخر من الفواق وهو ناشئ عن مرض يصيب الجهاز العصبي كشلل الاطفال والتهاب الدماغ السباتي . وحينئذٍ يكون ما يثير العصب الحاجزي في الدماغ لا في المعدة . وهذا الفواق يكون شديداً متواصلاً خطيراً . على انه يكون في الغالب مصحوباً باعراض اخرى فلا يصعب تمييزهُ . والمرجح ان فواق الطفل المذكور من النوع الاول

(٤) سبب البراكين والزلازل

انطاكية. ما هو سبب ثوران البراكين وخمودها ثم عودها الى الثوران . وهل الزلازل تنشأ عنها ؟

ج . ان باطن الارض حارٌّ جداً كما يظهر من البحث في جوفها. وكان المظنون انهُ مصهور ايضاً ولكن ثبت من بعض الادلة الطبيعية انهُ جامد غير مصهور . ولكن بقعاً قليلة مصهورة تتصل بالبراكين والبراكين منافس او منافذ لها فاذا خسفت الارض بسبب الضغط او بسبب تقلصها المستمر انضغطت المواد المصهورة وخرجت من افواه البراكين . وكذلك اذا وصل اليها ماءُ البحر من شق في قعره تمدَّد تمدّداً شديداً بفعل الحرارة وخرج منها ومعهُ المواد التي يجدها في طريقهِ حتى اذا زال السبب عاد البركان الى الخمود

واذا شئتم بيان اسباب الزلازل فراجعوا مقالة نشرناها في هذا الجزء موضوعها « زلزلة كلَّ ساعة »

(٥) اعادة لون السن الطبيعي

بورت سعيد . هل تعرفون طريقة يُعاد بها لون السن طبيعيًّا بعد ما يموت عصبهُ ويُنزَع

ج . ان قصْر الاسنان ( تبييضها ) لا يفيد الفائدة المرغوبة بوجهٍ عام . وقد استعمل غاز الكلور لذلك على درجات متفاوتة من النجاح . وفي استعمالهِ من غير معرفة الطبيب شيء من الخطر . على ان غسل الاسنان باكسيد الهدروجين الثاني ( او اكسجينه ( eau oxygen ) يفيد بعض الفائدة. ولا نعرف طريقة اخرى نستطيع ان نشير عليكم باستعمالها في البيت على ان طبيب الاسنان يستطيع ان يلبس السن الذي تغيّر لونهُ الطبيعي غشاءً من الخزف يعيد اليهِ هذا اللون الطبيعي

(٦) اصوات عالية لا يسمعها الانسان

صافيتا لبنان . جاء في مقتطف فبراير ص ١٤٠ ما نصهُ ( من رأي بعض العلماءِ ان النمل والنحل تسمع الاصوات العالية جدًّا التي لا يسمعها الانسان وانهُ ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل ) فما هي هذه الاصوات العالية جدًّا التي يسمعها بعض الحيوانات الدنيا ولا يسمعها الانسان وما هو مصدرها . ام لعلَّ لفظة (العالية) وقعت سهواً وكان المراد بها الخافتة بدليل قولهِ ( وان كان لها اصوات فهي من هذا القبيل )

ج . كل صوت سلسلة امواج في الهواءِ يحدثها جسم مادي مرتجٌّ . وعلو الصوت او خفوتهُ يقاس بعدد هذه الامواج في الثانية . فاذا كان احد الاصوات مؤلفاً من الفي موجة في الثانية وآخر مؤلفاً من ٢٠ الف موجة في الثانية

قيل ان الصوت الثاني اعلى من الصوت الاول . وقد ثبت ان اذن الانسان لا تستطيع ان تسمع اصواتاً عدد امواجها اقل من ٣٠ موجة في الثانية او اكثر من ٣٠٠٠٠ الف موجة في الثانية ولكن لبعض الحشرات كالنمل والنحل مقدرة على ان تسمع اصواتاً يزيد عدد امواجها على ٣٠ الف موجة في الثانية فهي اذاً تسمع اصواتاً اعلى من الاصوات التي يسمعها الانسان

(٧) تسمية اشعة الراديوم

ومنهُ . ما معنى قولكم في مقتطف مارس الماضي ص ٢٥٩ (الفا وبيتا وغمّا)؟

ج. الفا وبيتا وغمّا هي الحروف الثلاثة الاولى من الابجدية اليونانية يقابلها في الابجدية العربية الالف والباء والجيم وقد اطلقت على انواع الاشعة الثلاثة التي تنطلق من عنصر الراديوم فتعرف بها

(٨) تسمية ابي الهول

الاسكندرية . لماذا سمي تمثال ابو الهول بهذا الاسم

ج . جاء في خطط المقريزي التي طبعت بمطبعة النيل بمصر في الصفحة ١٩٧ من الجزء الاول ما يأتي :

« هذا الصنم بين الهرمين عرف اوّلاً بلهيب وتقول اهل مصر اليوم أبو الهول. قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهوبه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منهُ سوى رأســه فقط تسميه العامة بابي الهول ويقال بلهيب ويقال انهُ طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزة »

وجاء في دائرة المعارف للبستاني ان ابا الهول عُرف اولاً بلهيت ثم اطلق العامة عليهِ اسم ( ابو الهول ) وقد يكون محرفاً عن بلهيت او بلهونة او قد يكون سمي بذلك لمنظرهِ الهائل

وجاء في مقتطف يونيو سنة ١٩٢٦ صفحة ٦٩٧ ما يلي :

واسم ابي الهول في اللغــة المصرية القديمة « هو » يعنون بهِ الشمس الطالعة او شمس الافق او اله الصباح وتضاف اليهِ لفظة با او اب او بو ومعناها بيت او مكان او معبد فيصير بهو اي بيت اله الصباح او مكانهُ او معبدهُ ولذلك فالكلمة التي قال المقريزي انها اسم ابي الهول هي الكلمة المصرية القديمة محرفة . وحبذا لو رجعنا اليها فترجمنا كلمة سفنكس بها فانهُ يسهل جمعها واضافتها كالاسماء العربية

(٩) تاريخ ابن العبري

القاهرة . ورد بالصفحة ٥١٠ من مقتطف مايو الماضي في مقالة البادية العربية ما يأتي ( بموجب روايات المؤرخين العرب كالطبري وابن عساكر وابن العبري الخ ) فاين يوجد تاريخ ابن العبري وهل يمكن الحصول عليهِ ؟

ج . كتاب اخبار الدول لابن العبري مطبوع بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ونشير عليكم بان تطلبوهُ بواسطة مكتبة العرب بالفجالة ونظن ان ثمنهُ لا يقلّ عن جنيه

(١٠) رواية الكتيدرال لابانز

الفجالة مصر . ما هو الاسم الانكليزي لرواية الكتيدرال التي كتبها ابانيز روائي البحر المتوسط المذكورة في مقتطف مارس صفحة ٣١٢

ج . اسمها The Cathedral ونرجح انكم تجدونها في اكثر المكاتب الافرنجية في القاهرة كمكتبة C.M.S. بشارع قصر النيل ومكتبة Au Papyrus او مكتبة Express بشارع المغربي والأَ فان اصحاب هذه المكاتب يستطيعون ان يطلبوها لكم من لندن فتصل في نحو اسبوعين

(١١) كتاب لودج في الروح بعد الموت

ومنهُ . ما الاسم الانكليزي لافضل كتاب وضعهُ السر اوليڤر لدج في وجود الروح بعد الموت

ج . نظنكم تشيرون الى الكتاب الذي كتبهُ بعد موت ابنهِ في الحرب الكبرى وسماهُ ريموند (وهو اسم ابنهِ) او الحياة بعد الموت . ولهُ كتاب آخر اسمهُ الاثير والحقيقة (Ether & Reality) اكثرهُ مباحث طبيعية تتخللها وتعقبها مباحث فلسفية عرض فيها لمسألة وجود الروح بعد الموت

(١٢) كتاب لودج في علم النفس

ومنهُ . هل وضع السر اوليفر لودج كتاباً في علم النفس وما اسمهُ بالانكليزية اوالعربية

ج . لا نعلم ان السر اوليفر لدج عني بمباحث علم النفس (السيكولوجيا) وتوفَّر عليها بل هو عالم من اكبر علماء الطبيعة المعاصرين ولذلك لا نظن انهُ يتعرض لوضع كتاب في علم لم ينقطع لهُ انقطاعاً يمكنهُ من الكتابة فيهِ كاربابهِ . ولم نسمع ان لهُ كتاباً في علم النفس ولكن لهُ كتاب اسمهُ «كريستوفر : او بحث في الشخصية الانسانية» وهو كتاب في المباحث النفسية لا في علم النفس

(١٣) رش الماء وبرودة الهواء

طنطا . نرى ان رش الشوارع في ايام الحر يبرد الهواء فهل يبرد الهواء ولو لم يكن الماء الذي ترشّ بهِ الشوارع بارداً لاننا نرى مركبات الرش تأخذ الماء من الحنفيات رأساً وهو ليس بارداً كما لا يخفى وقد يكون سخناً

ج . الغالب ان الماء لا يبرّد الهواء ببرودتهِ بل بسرعة تحولهِ الى بخار فان تحوّلهُ الى بخار يقتضي استخدام جانب كبير من حرارة الارض والهواء فيخسرها الهواء وتخسرها الارض ولذلك تهبط الحرارة بضع درجات على اثر رش الماء

# باب الأخبار العلمية

## اوجه القمر في يونيو

| | يوم | ساعة | دقيقة | |
|---|---|---|---|---|
| الهلال | ٣ | ٢ | ١٣ | مساءً |
| الربع الاخير | ١١ | ٧ | ٥١ | صباحاً |
| الاجتماع | ١٧ | ١٠ | ٤٢ | مساءً |
| الربع الاول | ٢٥ | ٠ | ٤٧ | صباحاً |
| الاوج | ١ | ١٠ | ٦ | « |
| الحضيض | ١٦ | ٣ | ٥٤ | مساءً |
| الاوج | ٢٨ | ٩ | ٤٢ | « |

## السيارات في يونيو

عطارد . يكون كوكب مساء في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة . لا تشاهد

المريخ . يشرق نحو الساعة ٢ صباحاً

المشتري . يكون كوكب صباح

زحل . يشاهد في اثناء الليل

## كسوف الشمس

تكسف الشمس صباح يوم الاحد في ١٧ يونيو ١٩٢٨ كسوفاً جزئيًّا لا يشاهد من القاهرة

## اعظم البواخر

بنت احدى الشركات الفرنسوية في السنة الماضية باخرة محمولها ٤٢ الف طن للسفر بين فرنسا والولايات المتحدة واوصت شركة النوردويتشرلويد ببناء باخرة محمولها ٤٦ الف طن للسفر بين برمرهافن بالمانيا ونيويورك . فكأن بناء هاتين الباخرتين اشارة الى استئناف التزاحم بين شركات البواخر الكبرى لبناء اكبر السفن وامتنها واسرعها

على ان هاتين الباخرتين لا تقاربان المتجستك والبرنجاريا الانكليزيتين فالاولى محمولها ٥٦ الف طن والثانية محمولها ٥٢ الف طن. ولكنهما لم تبنيا في بريطانيا بل هما من بواخر الالمان التي استولت عليها انكلترا بعد الحرب. والموريتانيا باخرة من بواخر شركة الكونارد لا تزال حائزة لقصب السبق في السرعة ولكن ينتظر ان تفوقها الباخرة الالمانية في ذلك متى نزلت الى الميدان . فهل تكتفي شركات البواخر الانكليزية بان تخسر قصب السبق وهي مكتوفة اليدين؟ كلاَّ ان حبَّ التفوق والسبق

من اقوى الطبائع البشرية ويؤخذ من انباء شركة الكونارد انها اوصت ببناء باخرة جديدة يكون محمولها متى تمت ٦٠ الف طن وطولها ١٠٠٠ قدم وفيها متسع لخمسة آلاف مسافر. وشركة النجم الابيض تدرس الآن مشروع بناء باخرة تكون انخم من المتجستك واسرع منها. وتبلغ نفقات بناء هاتين الباخرتين احد عشر مليوناً من الجنيهات

## الاشعة السموية وتكون العناصر

لقد توافرت الادلة على ان بعض العناصر الثابتة الكثيرة الوجود في الارض والاجرام السموية كالهيليوم والسلكون والاكسجين والحديد آخذة في التكون الآن من ذرات الكهربائية السلبية والايجابية (الكهارب والبروتونات)

هذا قول للاستاذ ملكان في خطبة خطبها امام اكادمية العلوم الاميركية. والاستاذ ملكان لا يلقي القول على عواهنه فهو من اكبر علماء الطبيعة المعاصرين وقد نال جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٢٣ لتفوقه في استفراد «الكهرب» وقياسه

ولقد اثبت في خطبته المذكورة طرفاً من المباحث الدقيقة التي قام بها مع زميل له هو الاستاذ كمرون لاثبات وجود الاشعة السموية وقوتها ومصدرها. وقد لخصنا هذه المباحث في مقتطف مارس الماضي صفحة ٣٠٦ على انهما اعادا الكرة على هذه التجارب بادوات كهربائية اكثر دقة من الادوات التي استعملاها قبلاً فثبت لهما ان طيف هذه الاشعة يدل على انها تجيء في مناطق سريعة التوالي كأن المصدر التي تصدر عنه ينبض نبضاً. وسرعة تواليها يفوق سرعة الاشعاع الذي ينجم عن اسرع التحولات في المواد المشعة يريد بذلك انطلاق اشعة غمَّا التي تصدر من الراديوم

وقد وجدا ان اقوى هذه الاشعة يخترق ما سمكه ٢٠٠ قدم من الماء و١٨ قدماً من الرصاص مع ان اشعة اكس لا تخترق اكثر من ثلاثة سنتمترات من الرصاص ونور الشمس العادي تحجبه ورقة رقيقة. فوصول هذه الاشعة في مناطق كما مرّ يدلّ على انها لا تتولد كما تتولد اشعة اكس من اصطدام الجواهر الفردة بكهارب سريعة كسبت سرعتها من مرورها في حقول شديدة التمغنط كانابيب اشعة اكس فسرعتها تقتضي حقولاً تفوق في قوة تمغنطها انابيب اشعة اكس ٣٠٠٠ ضعف

وبعد البحث الرياضي الدقيق ثبت لهما ان ما من فعل طبيعي يستطيع ان يولد اشعة هذه قوتها وسرعتها الاَّ الافعال الطبيعية التي تصاحب تكوّن بعض العناصر

المختلفة كالهليوم والسلكون والحديد والاكسجين من الهدروجين او من الهليوم

## زلازل البلقان

كانت الزلازل التي حدثت في بلغاريا واليونان في شهر ابريل الماضي من اقوى الزلازل التي حدثت هناك ونتج عنها دمار كثير ففي ١٤ ابريل الماضي زلزلت الارض زلزالها في بلغاريا على مقربة من شربان فتهدمت البلدة كلها . وكان نطاق الزلزلة واسعاً فاتصل اثرها ببلدة بلوفدِف على ثلاثين ميلاً الى الغرب من مركز الزلزال. ثم حدثت زلزلة قوية في ١٨ ابريل فكان مركزها قريباً من بلوفدِف فدمّر فيها نحو خمسة آلاف بيت واتصل اثرها بصوفيا على ٨٠ ميلاً منها فتدمر فيها بضعة بيوت . وحدثت زلزلة ببلاد اليونان في ٢٢ ابريل دمرت كورنثوس وكلاماكي ولوتراكي . ويقال ان ١٥ الف نسمة باتوا في الخلاءِ لان بيوتهم تهدمت

اما زلازل بلغاريا فاهم ما اتصفت بهِ من الوجهة العلمية انتقال مركز الزلزال غرباً في خط موازٍ لسلاسل جبال البلقان واتساع نطاق الاراضي التي تأثرت بها مما يدلّ على عمق الابسنتر . راجع مقالتنا « زلزلة كل ساعة » في مكان آخر من هذا الجزء

## مخاطر القطب الجنوبي

صحت عزيمة الكومندر برد الاميركي على الذهاب الى القطب الجنوبي وهو الآن منهمك باعداد الطيارات وغيرها من معدات الرحلة الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية . وهنا يتبادر للذهن السؤالان الآتيان : أيستطيع الكومندر برد ان يصل الى القطب الجنوبي بالطيارة ويرجع منهُ كما وفّق في الوصول الى القطب الشمالي والرجوع منهُ ؟ وهل المخاطر التي تحفُّ بطيرانهِ الى القطب الجنوبي اعظم من المخاطر التي لقيها وتغلب عليها حين طار الى القطب الشمالي ؟

اما السؤال الاول فتتعذر الاجابة عنهُ الآن ولكننا نتمنى للطيار المقدام كل سلامة وتوفيق في الذهاب والاياب . واما السؤال الثاني فالجواب عنهُ بالايجاب اذ لا شك في ان المخاطر التي تحف بروّاد القطب الجنوبي اعظم جدًّا من مخاطر الرحلة الى القطب الشمالي . ذلك ان القطب الجنوبي ليس في مسطح من الجليد كالقطب الشمالي بل هو قائم على قنة عالية ارتفاعها نحو عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر فبلوغهُ عن طريق الجو يقتضي الارتفاع بالطيارة الى هذا العلو الكبير وعمل النزول الى الارض على جليد غير مستوٍ ثم القيام

والتحليق في الجوّ جمّ الخطر يضاف الى ذلك ان منظر الجليد قد يبهر عيون الطيارين فتتعذر عليهم رؤية هدفهم من جهة ويصعب الاتجاهُ في الناحية التي يريدونها من جهة اخرى . والبرد حول القطب الجنوبي اشدُّ من البرد حول القطب الشمالي فضلاً عن ان المناطق المتجمدة الجنوبية مشهورة بهبوب عواصف من الثلج تدوم اياماً تسدُّ على الرائد طريق التقدم والنجاة . وعاصفة كهذهِ هبت في وجه الرائد الانكليزي سكوت ورفاقهِ فقضت عليهم مع انهم كانوا لا يبعدون الاَّ احدى عشر ميلاً من محطة لهم اودعوا فيها طعاماً . وهذه العواصف تهب فجأةً وتبلغ سرعة الريح فيها احياناً ١٥٠ ميلاً في الساعة

هذه هي اهم المخاطر التي يتعرض لها الروّاد في الاصقاع المتجمدة الشمالية . ولكن اقدام الرجال ومستحدثات العلم لا بدَّ ان تتغلب عليها

## فوز جديد للتلفزة

استعملنا لفظة « التلفزة » في الجزء الماضي من المقتطف تعريباً للفظة « تلفزيون » الفرنسوية و « تلفشن » الانكليزية لانها تعريب دقيق للكلمة الاصلية وفي الوقت عينهِ يجري على الاوزان العربية فنستطيع ان نصوغ الفعل تلفز كدحرج وهلهل واسم الآلة تلفاز كمفتاح ومهماز ومسبار . ثم سردنا تاريخ هذا الاستنباط الخطير وما قد يبنى عليهِ . ومنذ انتشر مقتطف مايو تمَّ للمستر بايرد المستنبط الاسكتلندي فوز جديد في هذا الميدان. ذلك انهُ تمكن من اذاعة صور اناس جلسوا في مكتبهِ امام التلفاز المرسل فالتقط صورهم المستر ستانلي برون عامل التلغراف اللاسلكي على الباخرة برنجاريا وهي في عرض البحر . وكان بين الذين أُرسلت صورهم المس سلفي خطيبة المستر برون فعرفها . ولا يخفى ما في هذه التجربة من الدليل القاطع على نجاح طريقة بايرد نجاحاً عمليًّا

## تَغَيُّر حجم الشمس

ثبت لبعض علماء الفلك الايطاليين ان حجم الشمس متغير فكأنها قلب متقد ينقبض ويتمدد وان الشمس تبلغ معظم حجمها مرة كل احدى عشرة سنة. ومن الغريب ان ذلك يتفق مع ظهور اكبر عدد من الكلف. ثم يبدأ حجمها بالنقصان فتى بلغت اقل حجمها وافق ذلك الوقت الذي تكون فيهِ الكلف على اقلها. وقد اثبتوا ذلك بقياس حجم الشمس ظهرَ كلّ يوم اشرقت فيهِ في الخمسين السنة الاخيرة . ثم قارنوا هذه الاقيسة وبوّبوها فوصلوا الى هذه النتيجة

## نقل الصور المتحركة بالتلفون

يعلّق اصحاب صناعة الصور المتحركة شأناً كبيراً على السبق الى نشر صور الحوادث الكبيرة والصغيرة التي تهم الجمهور. وقد استعملوا لذلك اسرع وسائل النقل والانتقال فاستأجر احدهم باخرة صغيرة سنة ١٩٢٢ ومعهُ فلم رُسم فيهِ حريق ازمير لدى احتلال الترك لها وسافر بهذه الباخرة من ازمير الى اقرب مرفإٍ ايطاليّ ومنهُ الى باريز وهناك عرف انهُ لا يستطيع ان يلحق بالباخرة السريعة التي تقلع من ميناء شربورغ يوم وصولهِ الى باريس فاستأجر طيارة ولحقها في عرض البحر ورمى بلفات الفلم على ضهرها . ولما قاربت الباخرة نيويورك استقبلتها طيارة وحوّمت فوقها واخذت الفلم حتى يعرض في دور الصور المتحركة بنيويورك

على ان الاميركيين لم يكتفوا بسرعة الطيارات لنقل الصور التي تهم الجمهور فاستعملوا لذلك التلفون . ونقل الصور بالتلفون او التلغراف امر معروف لدى قراء المقتطف . ذلك ان الفلم يقطع قطعاً طول كل قطعة منها سبع بوصات وعرضها خمس بوصات وتنقل ثلاثاً ثلاثاً فينقل منها في خمس ساعات ما طولهُ ١٠ اقدام من الفلم وهو كافٍ لعرض حادثة خطيرة .

فاذا فرضنا ان الحادثة وقعت في سان فرنسسكو فالفلم الذي يدوّنها يستغرق عشر ساعات على الاكثر اذا نقل بالتلفون الى نيويورك ولكنهُ يستغرق نحو خمسة ايام اذا ارسل بسكة الحديد ونحو ٣٠ ساعة اذا ارسل بالطيارة . ولا نعلم ان عرض فلم كهذا يعوّض الشركة النفقات الطائلة التي تتكبدها في تصويرهِ ونقلهِ ولكن التفوق غاية يتطلع اليها ارباب الاعمال ومتى اشتهروا بها زاد الاقبال عليهم واتسع نطاق عملهم وبذلك يعوّضون ما ينفقون ويربحون

## الطيران من اوربا الى اميركا

اشرنا في مقتطف مايو الماضي الى فوز الطيارين الالمانيين كوهل وفون هونفلد والطيار الارلندي فتز موريس بعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي من ارلندا الى جزيرة غرينلي بين جزيرة نيوفوندلند ومصب نهر سانت لورنس

قام الطياران الالمانيان من برلين في ٢٦ مارس الماضي الى دبلن حيث لبثا ينتظران اعتدال الطقس ليقوما بالرحلة الخطرة من دبلن الى نيويورك . وكانا قد صحبا معهما ميكانيكيًّا المانيًّا فحلّ المستر فتز موريس الطيّار الارلندي محله اعترافاً بجميل الحكومة الارلندية في ما مهدتهُ لهما من وسائل الطيران . وفي ١٢ ابريل قاموا

من مطار بلدونل على الطيارة بريمن وهي طيارة معدنية ذات سطح واحد من صنع يونكر قوة محركها ٢٠٠ حصان وسرعتها في جوٍّ هادئ ١٥٠ كيلو متراً في الساعة وتستطيع ان تبقى اربعين ساعة في الجو اي تستطيع ان تجتاز مسافة ٦٠٠٠ كيلو متر اذا كان الجو صافياً . ولما نزلوا في جزيرة غرينلي كانوا قد اجتازوا مسافة ٣٥٠٠ كيلو متر في خط مستقيم مما يثبت قوة الرياح التي هبت في وجوههم فاعاقتهم عن التقدم بالسرعة العادية فلم يبلغ متوسط سرعتهم اكثر من تسعين كيلو متراً في الساعة

## الحرب في الصين والبحث العلمي

اشتهر الدكتور روي تشابمن اندروز باكتشافهِ لبيوض الدينوسورس في صحراء غوبي التي يرجع تاريخها الى نحو عشرة ملايين من السنين وبما عثر عليهِ هناك من آثار الانسان القديم مما يؤيد قول بعضهم بان آسيا مهد الانسان . وقد اعدَّ متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بعثة اخرى برآسة الدكتور اندروز لتذهب الى منغوليا وتستأنف بحثها هناك . ولكن هذه البعثة لم تتمكن من ذلك بسبب الحرب الاهلية الناشبة في الصين فقضى اعضاؤها سنتين في بكين وهم يتراوحون بين اليأس والامل في امكان استئناف بحثهم .

واخيراً قرَّر الدكتور اندروز ان ينفح رئيس العصابة المستولية على البقعة التي يريدون البحث فيها بمبلغ من المال اذا مهَّد للبعثة طريق البحث وضمن سلامة اعضائها . والبعثة مؤلفة من عشرة علماء اميركيين توفروا على مباحث الآثار المتحجرة (الباليئتولوجيا) والجيولوجيا والآثار وبينهم طبيب ومصور وميكانيكيَّان للعناية بالسيارات التي يستقلونها و ٢٦ منغوليًّا وصينيًّا لخدمتهم . وهكذا يتعرض العلماء للمخاطر حبًّا بالكشف عن محيا الحقيقة والبحث عن اسرار الطبيعة !

## جليد القطب الجنوبي

يرتأي الاستاذ مينارد ُس احد اساتذة جامعة غوتنجن الالمانية ان حول القطب الجنوبي من الجليد ما يكفي لتغطية سطح الكرة الارضية بغطاء جليدي سمكهُ مائة قدم . وانهُ اذا اذيب هذا الجليد وصبَّ ماءهُ ارتفع سطح الماء في البحار والاوقيانوسات نحو مائة قدم . وان وزن الجليد المتجمع هناك يبلغ ٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ طن وعندهُ ان اكثر المرتفعات في الاصقاع المتجمدة الشمالية هي جليد متجمد بعضهُ فوق بعضٍ وليس جبالاً مغطاة بالجليد كما يظن

## علاج للانيميا الخبيثة

عالج حديثاً طبيبان اميركيان فقر الدم (الانيميا) الخبيث باعطاء المصابين كبد البقر النيء (غير المطبوخ) فتحسنت حالتهم تحسناً مطرداً وشفي اكثرهم

وقد نشر اخيراً الدكتور شلنغ الالماني Schilling وهو يعدّ من اكبر الثقاة الالمان في امراض الدم انهُ عالج نحو ٩٤ مريضاً بهذه الطريقة فشفي تسعون منهم شفاءً تامًّا وتحسن حال واحد من الاربعة الباقين تحسناً ظاهراً ومات الثلاثة الباقون بامراض مختلفة غير الانيميا اصابتهم وهم تحت العلاج . ولا يعلم حتى الآن فعل الكبد غير المطبوخ في شفاءِ هذا المرض

ويباع في الصيدليات بضعة مستحضرات يقال عنها انها خلاصة الكبد ولكن لم يثبت بعد ان لها فعلاً شبيهاً بفعل الكبد «النيء» في علاج الانيميا الخبيثة

## الطيور القواطع : تجربة غريبة

ربط احد الفرنسيين الباحثين في طبائع الطيور القواطع ورقة صغيرة بجناح خطّاف بنى لهُ عشاً في حديقة دارهِ قرب مدينة متز بعد ما كتب عليها ما يأتي : «سكنت في صيف سنة ١٩٢٧ مع فلان في بلدة سانت اڤولد بمقاطعة موزل الفرنسية ومتى عدت اليهِ اودُّ ان اخبرهُ اين قضيت المدة في اثناءِ تغيبي عنهُ»

كان ذلك في آخر الصيف الماضي . ومنذ ايام عاد هذا الطائر الى عشهِ القديم في حديقة هذا الباحث فوُجدت ورقة معلقة بجناحهِ وقد كتب عليها ما يلي . «قضيت الشتاء في عش بنيتهُ في بيت مستر بادي بجزيرة مارتينيك وهو يبعث معي باطيب تحياتهِ الى مضيفي السابق»

ليس من الغريب ان تتمكن الطيور القواطع من اجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي والعودة الى فرنسا ولكن الغريب ان تعود الى بقعة صغيرة معينة في احدى مقاطعاتها

## فرق مطافئ النمل

اكتشفت المداموزيل مرغريت كومب الفرنسوية ان في قرى النمل فرقاً مختصة باطفاءِ النيران التي تشبُّ حولها . فانها اخذت عوداً مشتعلاً ووضعتهُ على مرتفع بالقرب من قرية نمل فهبت اليهِ فرقة واطفأتهُ فمنها من رشَّ عليهِ قليلاً من الحامض النمليك (الفورميك) وبعضها هجم على النار فقتل. وقد شاهدَت احد افراد الفرقة يخلص نملة كادت تهلك في النار . واخيراً فازت الفرقة بغرضها وهو اطفاء العود المشتعل

## عجائب البريد الانكليزي

تستعمل مصلحة البريد الانكليزية بلندن قطارات تسير تحت الارض لنقل اكياس البريد من محطات السكة الحديدية الى مكتب البريد افتداء للوقت الذي يضيع في شوارع لندن لشدة ازدحامها. وهذه القطارات تسير من غير سوّاقين بوسائل ميكانيكية ويبلغ مقدار ما تنقله يوميًّا من المراسلات ٢٣ الف كيس وطول الخط الذي تسير فيهِ نحو ستة اميال ونصف ميل وهو مبني في نفق على ٨٠ قدماً تحت سطح الارض وقد حفر في اثناء الحرب الكبرى لحفظ كنوز المتحف البريطاني فيهِ خوفاً عليها من قنابل البلونات الالمانية

## الاعلانات الكهربائية

أُحصيت اعلانات الانوار الكهربائية في جزيرة منهتان بمدينة نيويورك فاذا هي ٢١ الف اعلان يستعمل فيها نحو مليون و٣٠٩٩١٨ مصباحاً كهربائيًّا. وقد بلغ من ارتفاع اسعار هذه الاعلانات ان احدى شركات الاعلانات اشترت فندقاً في مكان متوسط وسدّت كواهُ ونوافذه الاّ في الدورين الارضيين حتى تعلق على واجهتهِ الاعلانات الكهربائية لانها حسبت ان دخلها من الاعلانات كذلك يفوق دخلها من ادارة الفندق كفندق

## زيادة متوسط العمر

اثبت قسم الصحة في ولاية بنسلفانيا ان متوسط عمر الانسان زاد ٣٩ سنة من آخر القرن السادس عشر الى الآن. فقد كان متوسط العمر في جنيفا ٢١ سنة في اثناء القرن السادس عشر (١٥٠١-١٦٠٠) وهو الآن في ولاية وسكنصن ٥٩ سنة (وهو المتوسط لكل سكان الارض) وذلك عائد الى تحسين احوال المعيشة الصحية وازدياد معرفة الاطباء باسباب المرض ووسائل العلاج والوقاية. ولا بد ان يزداد هذا المتوسط عما هو الآن كلما تقدم العلماء في معرفة طبائع الامراض وطرق مكافحتها

## مصل الحمى القلاعية

وفّق بعض الباحثين الالمان الى صنع مصلين احدهما واق تحقن بهِ المواشي فتوقى من الاصابة بالحمى القلاعية مدة لا تتجاوز عشرة ايام. وآخر شافٍ كمصل الدفتيريا يشفيها اذا لم يكن المرض قد استفحل امرهُ

## كبري نهر الهدصن

ذكرنا في مقالتنا عن كبري نهر الهدصن في اول هذا الجزء ان نفقاتهِ تبلغ نحو ٦ ملايين من الجنيهات والصحيح ١٥ مليوناً من الجنيهات

# الجزء السادس من المجلد الثاني والسبعين

صفحة
٦٠٩ كلمات للدكتور صروف — فضائل الحرب والسلم
٦١٠ اعظم الجسور المعلقة (مصوَّرة)
٦١٢ احروب طاحنة ام تحديد للنسل ؟
٦١٨ مآثر الشرق في الرياضيات والفلك . للاستاذ منصور جرداق
٦٢٣ الطيران من الاسكا الى سبتسبرجن (مصوَّرة)
٦٢٥ اركان الطب الحديث (مصوَّرة)
٦٣٠ النفط في الشرق الادنى . للزعيم امين معلوف
٦٣٧ غرور الوهم : (قصة) ترجمة اسعد خليل داغر افندي
٦٤٤ الذهب الوهاج في البادية . لامين الريحاني افندي
٦٤٨ العلم والعمران بعد غدٍ (مصوَّرة)
٦٥٤ دانتي والاسلام . لعبد اللطيف الطيباوي افندي
٦٦٠ الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية . لعيسى اسكندر المعلوف افندي
٦٦٥ شرقي في اميركا . لنسيم صيبعة افندي (مصورة)
٦٧٤ زلزلة كل ساعة
٦٧٧ حجة الاسلام . لشكري مهتدي افندي (مصوَّرة)

—++++—

٦٨٤ باب شؤون المرأة وتدبير المنزل * ذكرى قاسم امين . فرشاة الاسنان
٦٩٠ باب الزراعة والاقتصاد * الجراد واهلاكه . مراتب الارض ومناطقها . زراعة الملوخيا
٦٩٦ مكتبة المقتطف * تاريخ الفكر العربي . اللغة العربية والاستاذ النشاشيبي . السفور والحجاب . العقل الباطن . الزراعة الجافة . تاريخ نجد الحديث . حمائم المآذن . معجم المطبوعات العربية والمصرية
٧٠٧ باب المسائل * وفيه ١٣ مسألة
٧١٢ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢١ نبذة